حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط

١٠

الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
رئيس مجلس الإدارة
أ.د. أيمن فؤاد سيد

الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
أ.د. أحمد بهي الدين العسّاسي

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط

مجلة سنوية محكمة تعنى بالتاريخ الإسلامي والوسيط
يصدرها سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط
بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية

كل الحقوق محفوظة
للهيئة المصرية العامة للكتاب

الترقيم المطبوع
2735-3923

رقم الإيداع بدار الكتب
2013/18750

الترقيم الإلكتروني
2735-4725

موقع المجلة على بنك المعرفة:
hsew.journals.ekb.eg

٢٠٢٢م

قطعة ٤ بلوك ٧ – المنطقة التاسعة – شارع د. رؤوف عباس- مدينة نصر – القاهرة
تليفون: ٠١١٢٧٣٨١٩١٢ – ٢٧٤٢٨٢٩١ – ٢٧٤٢٨٢٩٦ – فاكس ٢٤٧٢٨٢٩٨

Email: Seehist1945@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ
التَّاريخِ الإسلاميَّ والوسيط

مَجلة عِلميَّة مُحَكَّمة

تُصْدرها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات : الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

eegyptian.historical2021@gmail.com

العدد العاشر

القاهرة

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م

رئيس مجلس الإدارة أ.د. أيمن فؤاد سيد

هيئة التحرير

رئيس التحرير: أ.د. حسين سيد عبدالله مراد

مديـر التحرير: د. محمد فوزي رحيل

أ.د. صلاح الدين علي عاشور

أ.د. عبير زكريا سليمان

أ.د. نهلة أنيس مصطفى

د. عبدالناصر إبراهيم عبدالحكم

الهيئة الاستشارية الدولية

أ.د. إبراهيم عبدالمنعم سلامة (مصر)

أ.د. اسحق تاوضروس عبيد (مصر)

أ.د. حاتم عبدالرحمن الطحاوي (مصر)

أ.د. عبدالقادر بوباية (الجزائر)

أ.د. عبدالله بن سعيد الغامدي(السعودية)

أ.د. عبدالهادي ناصر العجمي (الكويت)

أ.د. عفاف سيد صبرة (مصر)

أ.د. فتحي عبدالفتاح أبو سيف (مصر)

ا.د. قاسم حسن السامرائي (العراق)

ا.د. لطفي بن ميلاد (تونس)

أ.د. محمد أحمد بديوي (مصر)

أ.د. محمد عيسي الحريري (مصر)

أ.د. محمد الناصر صديقي (تونس)

Prof. Dr. Albrecht Fuess (Germany)

Prof. Dr. Sylvie Denoix (France)

Prof. Dr. Tetsuya Ohtoshi (Japan)

المحرر الفني أ. ياسر السيد عبدالعزيز

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو السمنار أو الناشر

شروط النشر بالحولية

- ترحب الحولية بنشر البحوث العلمية المبتكرة في التاريخ الإسلامي والوسيط باللغتين العربية والإنجليزية.
- يفضل أن يكون البحث في حدود ٣٥ صفحة، بما في ذلك الحواشي اللازمة والملاحق وقائمة المصادر والمراجع.
- ترسل البحوث على موقع الحولية على بنك المعرفة ولن يلتفت إلى الأبحاث التي ترسل عن طريق آخر.
- يرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة (CV)، وملخصًا للبحث باللغة العربية ولغة أجنبية في حدود (١٥٠) كلمة لكل منهما والكلمات المفتاحية.
- يقدم الباحث إقرارًا كتابيًّا بأن البحث لم يسبق نشره في أي مجلة علمية أو غيرها، وعدم الدفع به إلى النشر في جهات أخرى بعد موافقة الحولية على نشره.
- تقدم الخرائط والأشكال والرسوم البيانية بأصولها الصالحة للطباعة، وفي حال رغبة الباحث نشرها ملونة يلتزم بدفع تكاليفها.
- تتمتع الحولية بحق الملكية الفكرية للبحوث التي تنشرها، ويمكن للباحث إعادة نشر بحثه في جهة أخرى بعد مرور خمس سنوات على النشر بالحولية، وبموجب أذن كتابي من رئيس تحرير الحولية.

- لا تقبل الحولية البحوث التي سبق نشرها في أي مجلة علمية أو غيرها.
- توضع الهوامش مرتبة بطريقة متسلسلة في أسفل البحث.
- تخضع البحوث قبل النشر للتحكيم العلمي على نحو سري (معمي).
- يتم تقويم البحث وفقًا للعناصر التالية:
  - أن يكون البحث مبتكرًا، ومضمونه متكامل علميًّا.
  - وضوح المنهج، وملائمته لموضوع البحث.
  - رعاية الإخراج العلمي وتوزيع عناصر البحث.
  - سلامة اللغة ووضوح الصياغات والعبارات.
  - كفاءة المراجع وصحة التوثيق، وسلامة الهوامش، ودقة استخدام المصادر والمراجع.
- البحوث التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات عليها تعاد إلى أصحابها لإجرائها، حتى وإن كانت طفيفة، وفي حال ما إذا رأت الحولية عدم نشر البحث، تخطر صاحبه بالاعتذار عن عدم النشر مع بيان الأسباب.

مُقَدِّمَة

تسعد أسرة تحرير حولية سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية، أن تقدم لكل المهتمين بالدراسات التاريخية وكافة القراء، العدد العاشر من الحولية. والذي يضم أبحاثًا معظمها حصيلة الموسم الثقافي للسيمنار لعام ٢٠٢٢م، والذي شارك فيه عدد من المؤرخين المتميزين في حقل دراسات التاريخ الإسلامي والوسيط.

ويتضمن هذا العدد تسعة أبحاث مهمة طبقت الشروط العلمية للنشر، وتنوعت؛ فعرض بعضها للتاريخ السياسي والبعض الآخر عرض للتاريخ الحضاري، ثلاثة منها في التاريخ الوسيط، وستة في التاريخ الاسلامي وحضارته.

وترحب أسرة الحولية بنشر بحوث السادة الأساتذة المؤرخين في الجامعات المصرية والعربية، كما تفتح صفحاتها لشباب الباحثين، أصحاب الدراسات التاريخية الجادة المستوفاة للشروط العلمية للنشر.

وتأمل هيئة تحرير الحولية بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية أن يحوز هذا العدد على قبول كل المهتمين بالدراسات التاريخية. والشكر واجب لكل الزملاء الذين شاركوا ببحوث جادة في هذا العدد.

وحتى تستمر الحولية في أداء رسالتها في خدمة البحث التاريخي خاصة التاريخ الإسلامي والوسيط، تستقبل الحولية مشاركات الباحثين للنشر في العدد القادم.

والله ثم الوطن العزيز من وراء القصد...

رئيس التحرير

أ.د. حسين مراد

مدير التحرير

د. محمد فوزي رحيل

المحتويات

(العدد العاشر ٢٠٢٢)

١- الرِّعَايَة الصِّحِّيَّةِ فِي الْمُؤَسَّسَاتِ الرَّهْبَانِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ وَآثَارِهَا الِاجْتِمَاعِيَّةِ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْمِيلَادِيِّ ..... ١١ - ٩٤

د. هاني مهدي راتب زحير

٢- مَوْقِفُ الْبِيزَنْطِيِّينَ مِنْ الْوَثَنِيَّةِ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ الْمِيلَادِيِّ ٩٥ - ١٤٠

د. سهام محمد عبد العظيم

٣- سِيَاسَة الْبَابَا لِيُو الرَّابِعَ تجَاهِ هَجَمَاتِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى رُومَا (٨٤٧- ٨٥٥م/٢٣٣- ٢٤١هـ) ١٤١-١٨٨

د. بدران عبدالونيس محمد

٤- تَوْقِيتُ السَّاعَاتِ الْيَوْمِيَّةِ عِنْدَ الْعَرَبِ وَاسْتِخْدَامِهِ فِي ضَبْطِ مَوَاقِيتِ مَجْمُوعَةٍ مِنْ أَحْدَاثِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ مُنْذُ الْبَعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ حَتَّى وَفَاةِ الرَّسُولِ (ﷺ) (١٣ ق.هـ- ١١هـ/٦٠٩-٦٣٢م) دِرَاسَةٍ تَحْلِيلِيَّةٍ..... ١٨٩-٢٢٧

د.طارق أبو الوفا

٥- بَصرةُ الْمَغْرِب ..... ٢٢٩ - ٢٩١

أ.د. نريمان عبد الكريم أحمد

٦- مَدِينَة أَرَّجَانْ فِي الْعَصْرِ اَلْبُوَيهِيِّ «دِرَاسَةٌ فِي أَوْضَاعِهَا السِّيَاسِيَّةِ وَالْحَضَارِيَّةِ» (٣٣٤-٤٤٧هـ/ ٩٤٥-١٠٥٥م) ..... ٢٩٣ - ٤٢٦

د. محمد زين العابدين محمد مريكب

٧- اَلِانْحِرَاف اَلِاجْتِمَاعِيِّ عِنْدَ سَلَاطِينِ اَلدَّوْلَةِ اَلْغِزْنَوِيَّة (٣٥١-٥٨٢هـ/ ٩٦٢-١١٨٦م) ٤٢٧-٤٦٠

د. عبدالناصر عبدالحكم

٨- سِينُوب.. دِرَاسَةٌ فِي أَوْضَاعِهَا اَلسِّيَاسِيَّةِ وَالتِّجَارِيَّةِ عَصْر سَلَاجِقَةِ اَلرُّوم (٦١١- ٧٢٢هـ/١٢١٤-١٣٢٢م) ..... ٤٦١ - ٥٦٠

د. أشرف سمير توفيق محمد

٩- ظَاهِرَة تَدْخِينِ اَلتَّبَغِ فِي مُجْتَمَعِ اَلسُّودَانِ اَلْغَرْبِيِّ مُنْذُ اَلرُّبْعِ اَلْأَخِيرِ مِنْ اَلْقَرْنِ اَلتَّاسِعِ لِلْهِجْرَةِ حَتَّى سُقُوطِ مَمْلَكَةِ صنْغي اَلْإِسْلَامِيَّةَ ..... ٥٦١ - ٦١٤

د. بطل شعبان محمد غرياني

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط ١٠ (٢٠٢٢)، ١٤١ – ١٨٨

سِيَاسَة اَلْبَابَا لِيُو اَلرَّابِعَ تجَاهِ هَجَمَاتِ اَلْمُسْلِمِينَ عَلَى رُومَا (٨٤٧- ٨٥٥م/٢٣٣- ٢٤١هـ)

THE POLICY OF POPE LEO IV TOWARDS THE MUSLIM ATTACKS ON ROME (847-855 AD / 233-241 AH)

د. بدران عبدالونيس محمد [١]

ملخص

نجح المسلمون خلال القرن التاسع الميلادي في تهديد مدينة روما، عاصمة العالم المسيحي الغربي أكثر من مرة، لعل أبرزها، الهجوم الإسلامي عليها عام ٨٤٦م/ ٢٣٢ه، ووصولهم إلى المنطقة المقدسة، والاستيلاء على كنوز قبري بطرس وبولس. ثم عودتهم إليها مرة أخرى مجددًا بعد مرور ثلاث سنوات عام ٨٤٩م، ولكن هذه المرة لم يتمكنوا من الوصول إليها بسبب هزيمتهم في معركة أوستيا البحرية على يد التحالف المسيحي الذي كان يرأسه البابا ليو الرابع.

(١) مدرس التاريخ الإسلامي والوسيط، كلية الآداب، جامعة بني سويف.

خلال هذه الفترة تولى البابا ليو الرابع العرش البابوي وبدأ في الإعداد للتصدي للمسلمين وتهديدهم لروما؛ من خلال تبني سياسة متعددة الجوانب: أبرزها بناء مجموعة من التحصينات والأسوار الدفاعية لتحصين روما ومنطقة الفاتيكان، ثم بناء عدد من المدن على الطريق إلى روما لاستخدامهم حصون دفاعية متقدمة للدفاع عن روما أبرزها بناء مدينة بورتوس وليوبوليس.

الكلمات المفتاحية: البابوية- روما- البابا ليو الرابع- المسلمون- أوستيا- مدينة ليونين- ليوبوليس- كنيستي بطرس وبولس- الفاتيكان.

Abstract

During the ninth century AD, the Muslims succeeded to threat Rome; the capital of the Western Christian world, more than once. The most prominent of which was the Islamic attack in 846 AD / 232 AH, their arrival at the Holy Land, and the seizure of the treasures of the tombs of Peter and Paul. Then they returned to it again after three years, in 849 AD, but this time they were unable to reach it because of their defeat in the naval battle of Ostia at the hands of the Christian alliance which was headed by Pope Leo IV.

During this period, Pope Leo IV assumed the papal throne and began in the preparation of confronting the Muslims and their threat to Rome. This was adopting a multi- sided policy, of which the most important one was the build of a group of fortifications and defensive walls to fortify Rome and the Vatican region, then building a number of cities on the road to Rome to use them as advanced defensive forts to defend Rome. The most notable one was the construction of the city of Portus and Leopolis.

key words: Papacy - Rome - Pope Leo IV - Muslims - Ostia - Leonine City - Leopolis - Peter and Paul Churches - Vatican.

سعت البابوية منذ فترة مبكرة للتصدي للمسلمين في جنوب إيطاليا ومنعهم من السيطرة عليه؛ خشية أن يلقى الجنوب الإيطالي نفس مصير إسبانيا وصقلية؛ ولذلك بذل الباباوات جهودًا كبيرة للتصدي للمسلمين.

ويُعد غزو المسلمون لروما هو أكبر تحدٍ واجه البابا ليو الرابع Leo IV، وأثر على سياسته خلال فترة حكمه التي امتدت من عام ٨٤٧م/ ٢٣٣هـ حتى وفاته عام ٨٥٥م/ ٢٤١هـ؛ ولذلك بذل جهودًا كبيرة للتغلب على أثر هذا الغزو والتصدي له.

وهناك عديد من الدراسات تحدثت عن الوجود الإسلامي في إيطاليا، وموقف القوى الأوروبية منه بما في ذلك البابوية، لعل أبرزها:

- **البابوية والهجمات الإسلامية على إيطاليا في القرن التاسع الميلادي- الثالث الهجري**[(١)]؛ حيث يبرز هذا البحث موقف البابوية تجاه هجمات المسلمين في القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري، ومحاولاتها المستمرة لإيقاف هذه الهجمات سواء بجهودها الذاتية، أو عن طريق الاستعانة بالكارولنجيين، والبيزنطيين. ولم يتطرق هذا البحث لسياسة البابا ليو الرابع سوى في فقرتين وردتا في صفحتي ١٢٨ و ١٢٩.
- **صفحات من تاريخ الجهاد الإسلامي في شرق إيطاليا (في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي)** [(٢)]، يركز هذا البحث على الحديث عن سيطرة المسلمين على باري، وتحالف القوى المسيحية (البيزنطية، البابوية، والإمبراطورية الكارولنجية) ضدهم حتى إخراجهم منها، ولم يتحدث عن سياسة ليو الرابع تجاه المسلمين.

---

(١) عادل عبد الحافظ حمزه: البابوية والهجمات الإسلامية على إيطاليا في القرن التاسع الميلادي- الثالث الهجري، مجلة المؤرخ المصري، قسم التاريخ، كلية الآداب جامعة القاهرة، العدد ١٣، ١٩٩٤م.

(٢) وديع فتحي عبد الله: صفحات من تاريخ الجهاد الإسلامي في شرق إيطاليا (في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي)، نادي أبها الأدبي، السعودية، ع ١٧، إبريل ١٩٩٦م.

- **الوجود الإسلامي في إيطاليا (٢٢١-٣٠٢هـ/ ٨٣٦- ٩١٥م)**[١]، يتناول البحث الوجود الإسلامي في إيطاليا من ٨٣٦م حتى عام ٩١٥م؛ حيث يتحدث عن محاولات المسلمين المستمرة لبسط سيطرتهم على الأراضي الإيطالية وجهود القوى السياسية والدينية في إيطاليا لمنعهم من ذلك. ولم يتناول سياسة ليو الرابع إلا في فقرتين وردتا في صفحتي ٣٥٤- ٣٥٥.
- **المسلمون في جنوب إيطاليا خلال القرن التاسع**[٢]؛ يناقش هذا البحث الموضوع من خلال العناصر التالية: تراجع القوة البيزنطية في إيطاليا (أسباب التراجع، واحتلال باري، وازدياد نفوذ الأغالبة""")، وتهديد الأغالبة لإقليم دالماشيا، والموقف الدفاعي للأغالبة. ولم يتحدث عن سياسة ليو الرابع سوى في فقرة واحدة صفحة ٢٦٣- ٢٦٤.

وبالنظر في الدراسات السابقة يتبين أن أيًا من هذه الدراسات لم يتناول سياسة البابا ليو الرابع تجاه هجمات المسلمين على إيطاليا، اللّهم إلا في إشارات مختصرة لا تتعدى الصفحتين على الأكثر؛ ولذا رأى الباحث أن يفرد دراسة لهذا الموضوع لما له من أهمية. وسوف تندرج مناقشتنا لهذا الموضوع تحت العناصر التالية:

أولًا: الهجوم الإسلامي على روما عام ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م؛ لبيان أثر هذا الهجوم على تولي البابا ليو الرابع العرش.

---

(١) خالد عبد البديع رضوان: الوجود الإسلامي في إيطاليا (٢٢١- ٣٠٢ه/ ٨٣٦- ٩١٥م)، مجلة التاريخ والمستقبل، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة المنيا، يناير، ٢٠١٦م.

(٢) نورة نواس: المسلمون في جنوب إيطاليا خلال القرن التاسع، مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، مجلد ٢٠، العدد ٤، ٢٠٢١م.

ثانيًا: تولي ليو الرابع العرش البابوي.
ثالثًا: ترميم أسوار مدينة روما عام ٨٤٨م.
رابعًا: بناء مدينة ليونين Leonine ٨٤٨- ٨٥٢م.
خامسًا: معركة أوستيا[١] Ostia عام ٨٤٩م.
سادسًا: تحصين مدينة بورتوس Portus[٢].
سابعًا: وبناء مدينة ليوبوليس Leopolis.

أولًا- الهجوم الإسلامي على روما عام ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م:

وقع الهجوم الإسلامي على روما عام ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م بتوجيه من الأغالبة سادة أفريقية، وساهم فيه مسلمو إيطاليا، وربما خرجت السفن من صقلية؛ حيث نعرف من الأخبار النادرة التي وردت في المصادر الإسلامية أن الإمارة على مسلمي إيطاليا- كما هي على مسلمي صقلية- كانت ترجع إلى الأغالبة في القيروان[٣].

---

(١) أوستيا: تعد خط الدفاع الأول عن مدينة روما؛ حيث تم بناؤها على الميناء القديم لمدينة روما، وهي تعد المدخل الرئيس لنهر التيبر الذي بنيت عليه مدينة روما، تأسست في القرن الرابع قبل الميلاد، وظلت بمثابة الميناء الرئيس لإيطاليا حتى القرن الثالث الميلادي. ثم تم التخلي عنها بعد عام ٨٥٠م بسبب الملاريا والغارات العربية.
Cf: Canby (C.): Encyclopedia of Historic Places, New York, 2007, p. 969.
إيمان عبد التواب الخلاوي: موقف البابا حنا الثامن من تهديدات مسلمي جنوب إيطاليا لروما (٨٧٢- ٨٨٢م)، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢٦، الجزء الثاني، ٢٠١٨، ص ١٦٩.

(٢) بورتوس: بلدة وميناء في مقاطعة روما يقع على البحر التيراني على بعد ٦٣ ميلًا شمال غرب روما، تم تأسيسه في القرن الثاني الميلادي من قبل الإمبراطور تراجان. تعرض للغزو من قبل الوندال في القرن الخامس الميلادي، ومن قبل المسلمين في عام ٨٢٨م.
Cf: The New Catholic Encyclopedia, Vol. 6, Washington, 2003, p. 266.

(٣) خالد عبد البديع رضوان: الوجود الإسلامي في إيطاليا، ص ٣٥٣- ٣٥٤.

لم تذكر المصادر الأسباب التي دفعت المسلمين لغزو روما عام ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م؛ ولذلك اجتهد المؤرخون في كشفها(١)، لعل أبرزها: تتويجًا لحركة الجهاد الإسلامي في جنوب إيطاليا(٢)، وعدم قدرة البيزنطيين على لعب أي دور لمواجهة المسلمين في جنوب إيطاليا، أو حتى تقديم المساعدة لأتباعهم السابقين، خاصة بعد أن قُطع الجيش البيزنطي إربًا في صقلية على يد المسلمين عام ٨٤٥م/ ٢٣١هـ(٣). والنزاع بين الأمراء اللمبارد في بينفينتو Beneventum(٤)، واستنجاد كل منهم بمسلمي صقلية(٥)، بالإضافة إلى تخلي نابولي عن تحالفها مع المسلمين (لاتخاذهم قواعد بحرية على

---

(١) تعرضت روما لغزو المسلمين للمرة الأولى في يوم السبت الموافق عيد الفصح عام ١٩٢هـ/ ٨٠٩م. انظر، إبراهيم علي طرخان: المسلمون في أوربا في العصور الوسطى، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٦م، ص ٢١٦؛ فوزية محمد عبد الحميد نوح: البحرية الإسلامية في بلاد المغرب في عهد الأغالبة ١٨٤- ٢٩٦هـ/ ٨٠٠- ٩٠٨م، رسالة اماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، ١٤٠٥هـ، ص ٢٥٢.

(2) Lauer Ph: Le poème de la destruction de Rome et les origines de la cité Léonine. In: Mélanges d'archéologie et d'histoire, Tome 19, 1899, p. 309.

(3) Gay (J.): L'Italie méridionale et l'empire Byzantin depuis l'avènement de Basile Ier jusqu'à la prise de Bari par les Normands (867- 1071), Paris, 1904, p. 60.

ميكيلي أماري: تاريخ مسلمي صقلية، إعداد محب سعد إبراهيم، مج ١، فلورنسا، ٢٠٠٣م، ص ٤٢٤؛ عادل عبد الحافظ: البابوية والهجمات الإسلامية على إيطاليا، ص ١٢٥.

(٤) بينفينتو: مدينة تقع على بعد حوالي ٣٣ ميلًا شمال شرق نابولي عند التقاء نهري كالور وساباتو، في منطقة كمبانيا. تم نهبها من قبل الملك توتيلا- آخر ملوك القوط الشرقيين عام ٥٤٢م- ثم أصبحت بعد فترة وجيزة دوقية لمباردية حتى عام ١٠٥٣م. وكانت مسرحًا لمعركة بينفينتوم بين شارل آنجو ومانفريد، ملك الصقليتين عام ١٢٦٦م.

Cf: Canby: Encyclopedia of Historic Places, pp. 133- 134.

(٥) شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ١٣٦.

سواحلها هددت أمنها وأثرت على تجارتها)، وتحالفها مع المدن البحرية المجاورة وهي أمالفي [١]Amalfi وجايتا[٢]Gaeta وسورنتو [٣]Sorrento عام٢٣١هـ/ ٨٤٥م[٤]. وإذا كان هذا الحلف قد ضيق الخناق على المسلمين في هذه المناطق فإنهم بدأوا يوجهون نظرهم إلى أبعد من ذلك حيث تطلعوا إلى روما ذاتها[٥].

---

(١) أمالفي: مدينة وقوميون تابعة لمقاطعة ساليرنو في إقليم كمبانيا، وتقع على خليج ساليرنو على بعد ٣٧ ميلًا جنوب شرق نابولي. أنشئت في القرن السادس الميلادي؛ حيث ورد ذكرها عام ٥٩٦م في خطاب للبابا جريجوري العظيم، ولم يرد ذكرها حتى عام ٧٨٥م في خطاب للبابا هادريان الأول، وقد ازدهرت المدينة تجاريًا بفضل تعاملها مع المسلمين في مصر والشام، وقد تخلصت أمالفي من التبعية البيزنطية عام ٨٣٩م.

Cf: Canby: Encyclopedia of Historic Places, p. 36;

إيمان عبد التواب خلاوي: موقف البابا حنا الثامن من تهديدات مسلمي جنوب إيطاليا لروما، ص ١٦٩.

(٢) جايتا: مدينة تقع في جنوب لاتيوم، وسط إيطاليا، في مقاطعة لاتينا. ظلت دوقية مزدهرة منذ القرن التاسع الميلادي حتى القرن الثاني عشر عندما فقدت استقلالها لصالح النورمان.

Bridgwater (W.) et als: The Columbia Encyclopedia, New York, 1950, p. 739.

(٣) سورينتو: ميناء ومنتجع صيفي في مقاطعة نابولي في منطقة كمبانيا، تقع على الجانب الجنوبي من خليج نابولي على بعد ٢٨ كم جنوب شرق نابولي. وتم احتلالها من قبل قوات الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٣م.

Cf: Canby: Encyclopedia of Historic Places, pp. 1224- 1225.

(٤) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩م، ص ١٣٢- ١٣٣؛ أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠- ١١٠٠م)، ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١م، ص ٢١٥- ٢١٦؛ فوزية محمد عبد الحميد نوح: البحرية الإسلامية في بلاد المغرب في عهد الأغالبة، ص ٢٥٢.

(٥) عادل عبد الحافظ حمزه: البابوية والهجمات الإسلامية على إيطاليا، ص ١٢٥.

وفي الحقيقة لم يكن هدف تلك الغزوات التي قام بها المسلمون السلب والنهب كما يرى فازيليف[١]، وإنما هي محاولة جريئة من قبل المسلمين للسيطرة على عاصمة العالم المسيحي الغربي، شجعهم عليها الانقسام السياسي وضعف القوى السياسية في إيطاليا.

وصل المسلمون في يوم (٢٧ ذو الحجة ٢٣١هـ) ٢٣ أغسطس ٨٤٦م إلى الساحل الروماني[٢] بالقرب من مدينة أوستيا، التي سيطروا عليها بسهولة[٣]، وتم استخدامها نقطة ارتكاز لتوسعاتهم[٤]. واندفعوا منها بعد أن نجحوا في هزيمة الميليشيات الرومانية، والقوات التابعة للأدواق الفرنجة، في

---

(١) العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهادي شعيره، دار الفكر العربي، ١٩٣٤م، ص ١٨٥.

(2) Lauer: Le poème de la destruction de Rome, p. 311.

كانت روما على علم بالمخطط الإسلامي لمهاجمتها عام ٨٤٦م/ ٢٣٢هـ قبل حدوثه؛ بناء على رسالة مؤرخة بتاريخ ١١ أغسطس عام ٨٤٦م (ذو الحجة ٢٣١هـ) مرسلة من قبل أدالبرت Adalbert حاكم كورسيكا؛ مفادها أن أسطولًا إسلاميًا مكونًا من ٧٣ سفينة، يحمل عددًا كبيرًا من المسلمين يبلغ عددهم حوالي ١١ ألف جندي، و٥٠٠ حصان متجهًا إلى روما. وتباينت ردود الفعل الرومانية تجاه رسالة أدالبرت، وانقسم الرأي العام الروماني إلى قسمين، القسم الأول: يشمل الغالبية العظمى من الرومان بما في ذلك البابا سرجيوس؛ تجاهلوا التحذير لاعتيادهم على الأخبار الكاذبة من ناحية، أو لأنهم لم يصدقوا أن لدى المسلمين الجرأة على شن هجوم على مدينة روما في حين اهتم القسم الآخر وهم أقلية وقرروا – من خلال اجتماع عقدً فيما بينهم على– ضرورة إبلاغ جيرانهم وحلفائهم بشأن التهديد المحتمل، وحثهم على حمل السلاح والإسراع إلى روما لحمايتها من المسلمين.

Cf: The Lives of the Ninth-Century Popes (Liber Pontificalis), Trans. by Raymond Davis, Liverpool, 1995, pp. 93- 94; Lauer: Le poème de la destruction de Rome, pp. 310- 311; Casaglia (S.): Roma ei Saraceni, dal Sacco di Roma dell'846 alla Battaglia di Ostia dell'849, 2017, p. 9.

(3) The Lives of the Ninth-Century Popes, p. 74.

عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتب، طرابلس (ليبيا)، ١٩٨٠م، ص ٢٦.

(٤) فوزية محمد عبد الحميد نوح: البحرية الإسلامية في بلاد المغرب في عهد الأغالبة، ص٢٥٣– ٢٥٤.

تجاه كنيستي بطرس وبولس؛ فغنموا كل ما فيهما من ثروات كان الباباوات قد جمعوها عبر سنوات عديدة[١].

ونتيجة لذلك عقد الإمبراطور لوثير الأول مجلسًا اتخذ من خلاله مجموعة من القرارات لمواجهة المسلمين لعل أبرزها: العمل على تحصين كنيسة القديس بطرس، وإسناد تلك المهمة للبابوية، وتكليف الأساقفة بجمع التبرعات من جميع أنحاء المملكة لإتمام عملية التحصين، وتكليف لويس الثاني بقيادة الجيوش ومواجهة المسلمين[٢]؛ الذين نجحوا في هزيمتهم في ربيع أول ٢٣٢هـ/ العاشر من نوفمبر ٨٤٦م، وأوشكوا على إبادتهم لولا تدخل أسطول حلف كمبانيا بقيادة سيزاريوس Caesarius ابن سرجيوس[٣].

يبدو أن المسلمين لم يحاولوا جديًا الاستيلاء على مدينة روما، أو ربما

(1) Baronio Caesare, Annales Ecclesiastici, Tomus XIV (820- 863), Lucae, 1868, p. 325.; Annales qui dicuntur Xantenses a. 790—873 (874), ed. B. de Simson, **MGH**, **Scriptores rerum Germanicarum**, Hannover, 1909, pp. 15- 16; Kreutz (B.): Before the Normans: Southern Italy in the Ninth and Tenth Centuries, Philadelphia, 1991, p. 27; Lauer: Le poème de la destruction de Rome, pp. 309- 310; Pohl (W.): Visions of Community in the Post- Roman World in the West, Byzantium and Islamic World 300- 1100, 2012, p. 407.

تغريد طه أنور أبو العلا: صراع القوى في شبه الجزيرة الإيطالية وآثاره السياسية من ٧٤١- ٨٧٥م، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة دمنهور، ٢٠١١م، ص ٣١٠- ٣١١؛ محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص ٥١٢- ٥١٣.

(2) Kreutz: Before the Normans, pp. 27- 28; Gibson (S.): The Surviving Remains of the Leonine Wall, Papers of the British School at Rome, Vol. 47 (1979), p. 31.

محمد الطالبي: الدولة الأغلبية التاريخ السياسي ١٨٤- ٢٩٦هـ/ ٨٠٠- ٩٠٩م، تعريب المنجى الصيادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ص ٥١٤.

(3) The Annals of St-Bertin Ninth-Century Histories, Volume I, Trans and Edited by Janet L. Nelson, 1991, p. 63.

ميكيلي آماري: تاريخ مسلمي صقلية، ص ٤٢٦.

استماتت أهل روما في الدفاع عنها؛ فنجحوا في تحويل اتجاه المسلمين جنوبًا نحو دوقية بينفينتو؛ حيث خربوا مدينة فوندي Fondi[١]، وحاصروا مدينة جايتا[٢]. وفي النهاية اضطر الجند الإسلامي إلى رفع الحصار عن المدينة بعد أن اقتتلوا مع الجند الإيطالي وسفن الثغور الإيطالية قتالًا شديدًا، وعادوا إلى بلادهم في إفريقية محملين بالغنائم والأسرى دون الحصول على انتصار حاسم[٣]. حيث هبت عليهم عاصفة، أغرقت عددًا كبيرًا من مراكبهم، وقد انتشل الأهالي بعض جثث المسلمين الغارقة، فوجدوا في ملابسهم قطعًا نقدية وأسلابًا مما أخذوه من الأديرة والكنائس[٤].

خلاصة القول: إن الهجوم الإسلامي على روما عام ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م كان سلاحًا ذا حدين بالنسبة للقوى السياسية والدينية في إيطاليا في ذلك التوقيت؛ فبينما كشف للمسلمين مدى الضعف والانقسام الذي تعاني منه هذه القوى في إيطاليا؛ الأمر الذي شجعهم على العودة إليها مرة أخرى بعد ثلاث سنوات، فإنه نجح في توحيد تلك القوى ضد المسلمين من ناحية، وشجع البابا ليو الرابع على اتخاذ العديد من الإجراءات التي من شأنها التصدي للمسلمين من ناحية أخرى.

---

(١) فوندي: مدينة تقع في غرب إيطاليا على بعد ٧٥ ميلًا جنوب شرق روما. خضعت من الناحية الاسمية للسيادة البابوية في القرن الخامس الميلادي، ثم تحولت لسيادة فعلية في القرن السابع عشر الميلادي. وقد تضررت بشدة خلال الحرب العالمية الثانية.

Cf: Canby: Encyclopedia of Historic Places, p. 416.

(٢) نورة نواس: المسلمون في جنوب إيطاليا خلال القرن التاسع، ص ٢٦٣.

(٣) محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص ٥١٤؛ فوزية محمد عبد الحميد نوح: البحرية الإسلامية في بلاد المغرب في عهد الأغالبة، ص ٢٥٥.

(4) The annals of St-Bertin, p. 63.

خالد عبد البديع رضوان: الوجود الإسلامي في إيطاليا، ص ٣٥٢- ٣٥٢.

ثانيًا- تولي ليو الرابع العرش البابوي:

ولد البابا ليو الرابع Leo IV في روما لنبيل إيطالي يدعى رادوالدو Radualdo، وقد أرسله والده إلى دير القديس مارتن St. Martin- بالقرب من كنيسة القديس بطرس خارج مدينة روما – من أجل دراسة الكتاب المقدس[١]. وتميزت شخصيته بالعديد من الصفات الحميدة، مثل الكرم، والتواضع، والطاعة، وحب الفقراء، والشجاعة والتنظيم، وعشق العدالة، ووفقًا لكاتب سيرته: "كان باحثًا دؤوبًا عن الكتاب المقدس، يحمل في صدره حكمة الحية وبساطة الحمامة، كان محبًا للصالحين، وراحة الفقراء، محتقرًا لنفسه"[٢].

تلك الصفات التي أهلت ليو الرابع لتولي العديد من المناصب في الإدارة البابوية – خاصة بعد أن انتشرت سمعته بين الرهبان وانتقلت إلى روما- حيث تم تعيينه شماسًا من قبل البابا جريجوري الرابع، Gregory IV[٣] وظل في تلك

(1) Baronio Caesare, Annales Ecclesiastici, Vol. XIV, p. 330; Duchesne (L.): Le Liber Pontificalis: Texte, introduction et commentaire. 795-1464. Tome ???, Paris, 1892, p. 106; Muratori: Rerum Italicarum Scriptores: Raccolta degli Storici Italiani dal cinquecento al millecinquecento, Volume 2, pt. 3, Toronto, 1834, p. 293.

(2) The Lives of the Ninth-Century Popes, pp. 111- 112; Louis Marie de Cormenin, A Complete History of the Popes of Rome, from Saint Peter, the First Bishop, to Pius the Ninth, the Present Pope, Translated from the French of Louis Marie de Cormenin,Vol.1 , Philadelphia,1857, p. 223; Kelly (J. N. D.): The Oxford Dictionary of Popes, Oxford, 1986, p. 104; Marazzi (F.): Leone IV, papa, santo, Dizionario Biografico degli Italiani, Volume 64, 2005, https://www.treccani.it /enciclopedia/ leone-iv-papa-santo; Mann (H.K): The Lives of the Popes in the Middle Ages, Vol. 2 (795-858), London, 1925, p. 260.

(٣) جريجوري الرابع: مواطن روماني، تولى العرش البابوي من ٨٢٧م حتى ٢٥ يناير ٨٤٤م. تم تأجيل تكريسه حتى ٢٩ مارس ٨٢٨م حتى حضور المندوب الإمبراطوري وفقًا للدستور الروماني عام ٨٢٤م. ومن أبرز أعماله هو إنشاء مدينة جريجوريوبوليس.
Cf: The New Catholic Encyclopedia, pp. 487- 488.

الوظيفة حتى وفاة ذلك البابا، ثم تم تكريسه من قبل خليفته سرجيوس الثاني Sergius II[١] كاردينالًا لكنيسة (القديسين الأربعة المتوجين) كواترو كوروناتي Quattro Coronati[٢].

توفيَّ البابا سرجيوس الثاني في السابع والعشرين من يناير عام ٨٤٧م/ ٢٣٣هـ، بعد أن قضى في العرش البابوي ثلاث سنوات، ودفن في كنيسة القديس بطرس[٣]. وحينئذ فزع الرومان وتحيروا في اختيار خليفة له يمكنه التصدي للمسلمين، إلى أن وافق أهالي روما بالإجماع على اختيار ليو الرابع[٤] في يوم السابع والعشرين من يناير، وهو نفس يوم وفاة البابا

(١) سرجيوس الثاني: روماني الجنسية، كان قد خلع على نفسه لقب (أوس بوري هوجز سنوت) ويعني صاحب الفخامة والأنف الخنزيرية، ولكن بعد تكريسه تخلص من هذا الاسم واتخذ اسم سرجيوس الثاني، تولى البابوية عقب وفاة البابا جريجوري الرابع عام ٨٤٤م، واستمر في العرش لمدة ثلاث سنوات.

Cf: The Lives of the Ninth-Century Popes, p. 75.

تغريد طه أنور أبو العلا: صراع القوى في شبه الجزيرة الإيطالية وآثاره السياسية، هامش ٣٠١.

(2) Platina (B.): The Lives of the Popes From the time of our Saviour Jesus Christ to the Accession of Gregory, Trans by W. Benham, London, 1889, p. 220; McKilliam (A.E.): A chronicle of the Popes from St. Peter to Pius X, London, 1912, pp. 162-163; Noble (T.): The Papacy in the Eighth and Ninth Centuries, NCMH, Vol. 2, Cambridge, 1995, p. 574.

(3) Baronio Caesare, Annales Ecclesiastici, p. 328; McKilliam: A chronicle of the Popes, p. 162., Venning T. and Harris, J. (ed.), A Chronology of the Byzantine Empire, Oxford University Press, 2006, p. 255; Milman (H. H): History of Latin Christianity, vol. 3, New York, 1883, p. 18; Duchesne (L.): The Beginnings of the Temporal Sovereignty of the Popes: A. D. 754-1073, New York, 1908, p. 144; Lauer: Le poème de la Destruction de Rome, p. 350.

(٤) تغريد طه أنور أبو العلا: صراع القوى في شبه الجزيرة الإيطالية وآثاره السياسية، ص ٣١٣.

سرجيوس الثاني[١]، وتم تكريسه في العاشر من إبريل ٨٤٧م/ ٢٣٣هـ، دون انتظار الحصول على موافقة الإمبراطور الفرنجي لوثير بموجب دستور ٨٢٤م[٢]. وعقب ذلك توجه البابا ليو الرابع إلى القصر البابوي يرافقه حاشية كبيرة، فقبل قدميه كل من كان حاضرًا من رجال الدين أو النبلاء أو المواطنين الرومان حسب التقاليد القديمة[٣].

ومما لا شك فيه، أن الهجوم الإسلامي على روما عام ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م كان لع أثره في تسرع الرومان في انتخاب البابا ليو الرابع وتكريسه قبل الحصول على الموافقة الإمبراطورية. وخشية من رد فعل الإمبراطور لوثير،

---

(1) Regesta Pontificum Romanorum, ed. Jaffe Ph., Berolini, 1841, p. 230; Muratori: Rerum italicarum scriptores, p. 293; The annals of St-Bertin, volume I, p. 64.

(2) Stuart (P.): Chronicle of the Popes, The Reign-by-the Reign Record of the Papacy from St. Peter to the Present, Thames & Hudson; 1st edition, 1997, p. 70; Louis-Marie, A Complete History of the Popes of Rome, p. 223; Platina: The Lives of the Popes, p. 221; Bertolotti (D.): Gli Arabi in Italia: Esercitazione storica, Torino, 1858, p.

ألزم دستور عام ٨٢٤م البابا المنتخب حلف يمين الولاء بين يدي رسل الإمبراطور قبل تثبيته في منصبه. كما ألزم الرومانيين جميعًا بحلف يمين الولاء للإمبراطور.

Cf: The Lives of the Ninth-Century Popes, p. 114;

نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ج ١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م، ص ١٩٣.

(3) The Lives of the Ninth-Century Popes, pp. 112- 113; Baronio Caesare, Annales Ecclesiastici, p. 331; Kelly: The Oxford Dictionary of Popes, p. 104.

تم انتخاب ليو الرابع في نفس يوم وفاة سلفه، أما الترسيم فكان في يوم عيد الفصح، وبالتالي لم يكن هناك فترة شغور في العرش البابوي، وإنما كانت الفجوة ما بين الاختيار والرسامة.

Cf: The Lives of the Ninth - Century Popes, pp. 107, 112 ; McKilliam: A Chronicle of the Popes, p. 162.

أسرع الرومان بالكتابة إليه يؤكدون خضوعهم واستسلامهم له، والتزامهم بحقه فيما يتعلق بالانتخاب البابوي؛ الأمر الذي قبله لوثير بهدوء تام؛ ولذلك لم يصعد الأمر كما حدث في انتخاب سرجيوس(١).

تُظهر تفاصيل انتخاب البابا ليو الرابع وفقًا لكاتب سيرته حالة الذعر التي أصيب بها سكان روما بسبب الغزو الإسلامي- تلك الكارثة التي حطمت روح الشعب الروماني تمامًا- "اعتقد الرومان بسبب الدمار الذي أحدثه المسلمون في جميع الأراضي الرومانية من ناحية، والموت المفاجئ للبابا سرجيوس الثاني من ناحية أخرى، أنهم لا يستطيعون الفرار من خطر الموت إلا من خلال العثور على شخص يمكنه أن يتولى العرش البابوي، ولا ينتهك ذلك مخافة الله"(٢).

---

(1) Marazzi: Leone IV, papa, santo; Duchesne: The Beginnings of the Temporal Sovereignty of the Popes, p. 144.

أرسل البابا ليو الرابع عقب انتخابه رسالة إلى الإمبراطور لوثير الأول وابنه لويس لتقديم الأعذار للمسار المخالف للوائح الذي سلكه الرومان في انتخابه.

Cf: Poupardin (R.): The Carolingian kingdoms (840- 877), NCMH, Vol. 2, Cambridge, 1991, p. 29.

تم انتخاب البابا سرجيوس الثاني عام ٨٤٤م دون انتظار الحصول على الموافقة الإمبراطورية، الأمر الذي أغضب الإمبراطور الفرنجي واعتبره استخفافًا بالدستور الروماني الذي تم الاتفاق عليه عام عام ٨٢٤م. وكان يعتزم معاقبة النبلاء الرومان على ذلك وأرسل ابنه لويس إلى روما بجيش من بافيا بصحبة دروجو رئيس أساقفة ميتس. ومن أجل إحباط الهجوم الفرنجي على روما، استقبل البابا سرجيوس الثاني الإمبراطور لويس بكل ترحاب، وتم عقد مجمع ديني ضم حوالي عشرين أسقفًا إيطاليا للتحقيق في انتخاب سرجيوس وأحقيته في العرش البابوي. وانتهى المجلس بالموافقة على انتخابه وأقسم الرومان عقب ذلك على يمين الولاء للإمبراطور، والالتزام بقواعد الدستور الروماني فيما يتعلق بانتخاب البابا.

Cf: The Lives of the Ninth-Century Popes, p. 72.

(2) The Lives of the Ninth-Century Popes, pp. 106-107; Mann: The Lives of the Popes in the Middle Ages, p. 261.

كانت البابوية في ذلك التوقيت في حاجة إلى شخصية قوية تستطيع قيادتها واستعادة هيبتها في تلك المرحلة الصعبة؛ من أجل مواجهة المخاطر التي تتعرض لها ممتلكاتها خاصة بعد أن مزقتها الصراعات الداخلية الناتجة عن سوء إدارة المسئولين البابويين وقمعهم خلال حكم البابا سرجيوس الثاني، وتدمير الفيكنج Vikings لسواحل بلاد الغال Gauls، وما أحدثه الهجوم الإسلامي على روما عام ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م من خراب ودمار في الأراضي البابوية، وتقسيم الإمبراطورية الكارولنجية إلى ثلاث ممالك متنافسة بموجب معاهدة فيردان عام ٨٤٣م.

لم تقتصر متاعب البابوية عند تولي ليو الرابع على المخاطر الخارجية فحسب؛ بل تفاقم الوضع داخليًّا أيضًا بسبب حدوث زلزال روما وحريقها الذي نتج عنه تدمير الحي السكسوني ورواق القديس بطرس، وأظهر البابا ليو الرابع في تلك الظروف الصعبة أنه يستحق أن يكون صاحب السيادة فيها بعد أن تخلى عنها قادة لوثير؛ الأمر الذي مهد الطريق أمام توسع ملحوظ في الهيبة البابوية خلال الثلاثة عقود التالية(١).

لقد دب قدر من الطمأنينة بين أهالي روما بالبابا الجديد؛ إذ كانوا على علم بخلفيته الأسرية، وأنه ينحدر من أسرة عريقة، ولا يحتاج المال ليسلبه منهم، بل ولى وجهه شطر إصلاح أحوال روما المتدهورة والعمل على تقويتها، فشاع بين الرومان كثير من القصص الخرافية عنه، والتي مفادها أنه كان شجاعًا ومدافعًا قويًا عن مصالح روما(٢).

(1) Annals of the Empire from The Reign of Charlemagne, By the Author of the Age of Lewis XIV, Vol.1, Oxford,1755, pp. 72- 73; New Catholic Encyclopedia, Vol. 8, Washington, D.C., 2003, p. 841; Gregorovius (F.): History of the City of Rome in the Middle Ages, Volume 3, London, 1895, p. 92.

(٢) تغريد طه أنور أبو العلا: صراع القوى في شبه الجزيرة الإيطالية وآثاره السياسية، ص٣١٤.

هكذا أصبح الكرسي البابوي في يد رجل أكثر نشاطًا؛ فقد اهتم بإصلاح ما أفسده نظام سرجيوس الثاني، وحماية روما من التدخلات العدائية، واستعادة الانضباط الكنسي، والحفاظ على السلطة البابوية، والمشاركة في العلاقات المعقدة بين البابوية والإمبراطورية الكارولنجية من ناحية، وبين كنيسته وأساقفة تلك الإمبراطورية الأقوياء من ناحية أخرى(١).

ثالثًا- ترميم أسوار روما:

رغم كثرة الصعوبات التي واجهت البابا ليو الرابع عقب توليه العرش البابوي؛ فإن أكبر تحد واجهه هو مواجهة المسلمين، والعمل على إفشال مخططاتهم المستقبلية؛ لذا تبنى عقب توليه العرش البابوي سياسة التحصينات الدفاعية؛ لحماية روما من هجمات المسلمين، ومنع تكرار كارثة عام ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م؛ فبدأ في ترميم أسوار مدينة روما نفسها.

وقد تعددت الأسباب التي دفعته لإنشاء تلك التحصينات، لعل أهمها الحاجة إلى تحصين الأماكن المقدسة خارج روما؛ خشية حدوث هجمات جديدة من المسلمين عقب هجوم ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م، وعدم ملائمة أسوار روما العتيقة للتصدي لأي هجوم آخر، والرغبة في إصلاح حصون مدن الموانئ التي تحرص الدولة البابوية، خاصةً الواقعة عند مصب نهر التيبر لمنع المسلمين من الوصول إلى روما أو ضريح القديس بطرس(٢).

---

(1) The Lives of the Ninth-Century Popes, pp. 99- 100; Kleinhenz (C.): Medieval Italy, An Encyclopedia, Vol. 2, New York, 2004, p. 632.

(2) The Lives of the Ninth-Century Popes, p. 99; Liudprand of Cremona: The Complete Works of Liudprand of Cremona, Trans by Paolo Squatriti, Washington, D.C., 2007, p. 63; Chronica Sancti Benedicti Casinensis, ed. Georg Waitz, MGH SS rerum Langobardicarum, Hannover 1878, p. 473; Barsali (I. S.): Sulla topografia di Roma in periodo carolingio: la "civitas leoniana" e la Giovannipoli, in Roma e l'età carolingia, 1976, p. 201.=

.....

= لم يكن البابا ليو الرابع أول من اهتم بتحصين أسوار روما من الباباوات، حيث سبقه في ذلك العديد منهم، مثل البابا أدريان الأول الذي قام بمحاولتين لتحصين الأسوار، أنفق خلالها حوالي مائة رطل من الذهب على المواد وأجور العمال وتموينهم، ثم تبعه ثلاثة باباوات في النصف الأول من القرن الثامن الميلادي، بداية من البابا سيسينيوس الأول عام ٨٠٧م، الذي جهز المواد اللازمة للبناء لكنه توفي قبل البدء فيها، يليه جريجوري الثاني Gregory II (٧١٥- ٧٣١م)، الذي بدأ عملية الترميم، ولكن ترك إصلاح الجزء الأكبر من أسوار المدينة لخليفته البابا جريجوري الثالث Gregory III (٧٣١- ٧٤١م).

واستمرارًا لعمل الباباوات في ترميم الأسوار الرومانية فقد خطط البابا ليو الثالث Leo III بعد تصاعد القوة البحرية للمسلمين، لبناء أسوار حول كنيسة القديس بطرس على الضفة اليمنى لنهر التيبر، ولكنه فشل في ذلك نتيجة تصاعد أعمال العنف والاضطرابات في المدينة التي قام بها النبلاء الرومان ضده؛ مما تسبب في توقف العمل وهدم الجزء المبني من الجدار، وحرمان تلك المنطقة المقدسة من تحصينات لو قدر لها الاكتمال ربما لن يستطع المسلمون الوصول إليها.

واختلف الأمر في عهد البابا سرجيوس الثاني عن أسلافه، حيث انتقلت مهمة التحصين في ذلك التوقيت إلى الإمبراطور الفرنجي لوثير، الذي قرر إقامة أسوار حول كنيسة القديس بطرس، وأمر جميع المواطنين بضرورة تحمل نفقات العمل، بعد أن أوصى الأساقفة بجمع الأموال اللازمة لذلك، لأنه ينبغي على جميع كنائس المملكة المساهمة في هذا الجدار بصفتهم أطفالًا يكرمون أمهاتهم ويحرسونها ويدافعون عنها بقدر ما يستطيعون.

Cf: The Lives of the Ninth-Century Popes, pp. 139-140; The annals of St-Bertin, p. 64; Pergola (S.): Il fenomeno del reimpiego nelle mura leonine, in Archivio della Società Romana di Storia Patria, Vol. 125, Roma, 2002, p. 8; Lankila (T. P.): Saracen Maritime Raids in the Early Medieval Central Mediterranean and Their Impact in the South Italian Terraferma (650-1050), Vol. 1, Ph. D., Princeton University, 2017, pp. 390- 391; Strphens (R. C.): The Walls and Aqueducts of Rome in the Early Middle Ages, A.D. 500-1000, The Journal of Roman Studies, Vol. 88 (1998), p. 186; Dey (H. W.): The Aurelian Wall and the Refashioning of Imperial Rome, AD 271–855, Cambridge, 2011, pp. 63- 64.

بناءً على ذلك؛ بدأ البابا ليو الرابع في إصلاح الأسوار الرومانية في السنة الثانية من ولايته للعرش البابوي عام (٨٤٨م/٢٣٣هـ)[١]. وكان يزور العمال يوميًا سيرًا على الأقدام لتشجيعهم وحثهم على إنهاء العمل في أسرع وقت ممكن[٢].

وبالفعل نجح ليو في عام ٨٥٢م/٢٣٧هـ في الانتهاء من عملية الإصلاح والترميم للأسوار الرومانية من خلال بناء خمسة عشر برجًا من الأبراج الكبيرة كانت مهدمة بالكامل، بالإضافة إلى بناء برجين على كل ضفة من ضفاف نهر التيبر تربط بينهما سلسلة حديدية من أجل منع السفن الكبيرة أو حتى المراكب الصغيرة من الوصول إلى قلب المدينة[٣].

وبإتمام هذه التحصينات عام ٨٥٢م/٢٣٧هـ يكون ليو الرابع قد نجح في تحصين مدينة روما، خوفًا من تعرضها لهجوم إسلامي آخر؛ لتبدأ مرحلة جديدة من التحصينات تنقسم إلى قسمين: القسم الأول: يشمل تحصين منطقة الفاتيكان والأماكن المقدسة لحمايتها، والقسم الثاني: يتمثل في بناء مجموعة من المدن الجديدة التي تشكل دفاعات متقدمة لمنع المسلمين من الوصول إلى روما.

---

(1) Venning and Harris, A Chronology of the Byzantine Empire, p. 256; Barsali: Sulla topografia di Roma in periodo carolingio, p. 206; Gibson: The Surviving Remains of the Leonine Wall, p. 33.

(2) Baronio Caesare, Annales Ecclesiastici, Vol. XIV, pp. 346- 347; Lauer: Le poème de la destruction de Rome, p. 351.

(3) Platina: The Lives of the Popes, 222; Duchesne: Le Liber pontificalis, p. 115.; Casaglia: Roma ei Saraceni, p. 11; Mann: The Lives of the Popes in the Middle Ages, p. 263; Stephens: The Walls and Aqueducts of Rome in the Early middle Ages, p. 168.

رابعًا- بناء مدينة ليونين (المدينة الليونية) Leonine City:

ترك غزو المسلمين لروما عام ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م والاستيلاء على ثروات كنيسة القديس بطرس انطباعًا كبيرًا لدي المعاصرين، بأن الأمر لن يستغرق سوى القليل جدًا من الوقت لكي تصبح روما مدينة إسلامية. ومن ثم كانت النتيجة العملية لهذا الغزو هي تحصين منطقة الفاتيكان(١).

بدأت أعمال البناء في مدينة ليونين عام ٨٤٨م/ ٢٣٣هـ، وساهم فيها عدد كبير من المسيحيين في ذلك الوقت، واستمرت أعمال البناء لمدة أربع سنوات أي حتى عام ٨٥٢م/ ٢٣٧هـ(٢). وشملت تلك المدينة التي تمتد من جسر القديس أنجيلو –على الضفة اليمنى لنهر التيبر- إلى تل الفاتيكان على كل من بازيليكا القديس بطرس والمنطقة الكنسية الكبيرة المجاورة لها بما في ذلك الكنائس، والمساكن البابوية، والإمبراطورية، ومدارس الأجانب، والشماسات الخيرية لإعالة الفقراء والحجاج(٣). وبلغ طول السور المحيط بها حوالي ثلاثة كيلو مترات وارتفاعه حوالي ١٢ مترًا، وسمكه حوالي مترين

(١) منطقة الفاتيكان: مقبرة رومانية قديمة نشأت خارج الأسوار الرومانية. ولم تكن تلك المنطقة تحظ باهتمام أي بابا؛ وظلت دون تحصين، حتى بعد بناء كنيسة القديس بطرس، ونمو الأديرة والمستشفيات والمساكن المختلفة ومستعمرات الأجانب. ولكن مع إمكانية تعرضها للهجوم من قبل المسلمين، كان من الضروري إنشاء جدار حماية لمنطقة الفاتيكان، تلك المهمة التي وقعت على عاتق البابا ليو الرابع.

Cf: Lankila: Saracen Maritime Raids in the Early Medieval Central Mediterranean, pp. 389- 390; Gregorovius: History of the City of Rome, p. 95; Noyé (F. G.): La storia dell'alto Medioevo italiano (VI-X secolo) alla luce dell'archeologia, Atti del Convegno internazionale (Siena, 1992), p. 253.

(2) Lauer: Le poème de la destruction de Rome, p. 360.

(3) Baronio Caesare, Annales Ecclesiastici, p. 378; Gibson: The Surviving Remains of the Leonine Wall, p. 33; Pergola: Il fenomeno del reimpiego nelle mura Leonine, p. 10.

ونصف، ويحتوي على أربعة وأربعين برجًا، لا تزال اثنان منها تشكل معلمًا بارزًا في الفاتيكان. ورغم تصميم تلك الأسوار على غرار أسوار أوريليان[١] Aurelian Walls؛ فإنها كانت أقل منها جودة، بسبب التسرع في عملية البناء من ناحية، ونقص العمال المهرة من ناحية أخرى[٢].

يُعد بناء مدينة ليونين بما أضافه من هالة جديدة من العظمة والأهمية لمنطقة الفاتيكان مشروعًا هائلًا في ذلك الوقت، نجح من خلالها في تحصين الأماكن المقدسة ضد الأعداء[٣]. ولكنه واجه كثيرًا من الصعوبات من أجل إنشائها؛ لعل أبرزها الحصول على الدعم البشري والمالي لتغطية نفقات المشروع.

---

(١) أسوار أوريليان: أتخذ الإمبراطور أوريليان عام ٢٧١م بعد نجاحه في صد الغزو الجرماني، قرارًا ببناء جدار دفاعي لروما، وتحقيقًا لهذه الغاية أمر مجلس الشيوخ بمصادرة الأرض اللازمة لإتمام عملية التحصين ولتوفير الموارد اللازمة، واستمرت عملية البناء حتى عام ٢٧٥م. ومرت تلك الأسوار الرومانية على مر السنين بتعديلات مستمرة استجابة لتقدم الفن العسكري، ولحماية روما وأهلها من الأخطار الخارجية. أهمها ترميمات ماكسينتيو Maxentius في بداية القرن الرابع الميلادي، وستيليكو Stilico بين عامي ٤٠١ و٤٠٣م، وبليزاريوس Belisarius في ٥٣٦م. وكانت عملية بناء الأسوار وترميمها- نهاية العالم الروماني- من اختصاص الدولة أو المفوض عنها، ولم يكن للباباوات أي تدخل فيها، ولكن لعب الباباوات دورًا حاسمًا ومعقدًا في تلك العملية، خاصة بعد أن انتهت السيطرة البيزنطية على رافنا في القرن الثامن الميلادي، حيث أصبح البابا السلطة الوحيدة في روما وأراضيها.

Cf: Presicce (C. F.): Mura di Roma memorie e visioni della città, Monumenta Capitolina Selecta, 2018, pp. 11- 12; lankila: The Saracen Raid of Rome in 846, p. 104; Noyé: La storia dell'alto Medioevo italiano, pp. 255- 256.

(2) Barelli: La diffusione e il significato dell'opus quadratum a Roma, p. 70; Dey: The Aurelian Wall, p. 64; Pergola: Il fenomeno del reimpiego nelle mura Leonine, p. 12.

(3) Dey: The Aurelian Wall and the Refashioning of Imperial Rome, pp. 271- 272.

أما الدعم المالي، فرغم تعدد موارد الدخل البابوي لتغطية نفقات المشروع المتمثلة في: الأموال التي أرسلها الإمبراطور الفرنجي لوثير بناءً على طلب البابا ليو الرابع، والأموال التي تم إرسالها من ألمانيا وفرنسا، والتبرعات التي تم جمعها من حجاج الأماكن المقدسة [١]؛ فإنها لم تغط سوى جزءًا من تكاليف البناء؛ ولذلك عقد البابا ليو الرابع اجتماعًا مع رجال الدين والنبلاء الرومان لبحث كيفية التغلب على تلك المشكلة، واتخاذ التدابير اللازمة لاستكمال عملية التحصين. وبناءً على ذلك قرر البابا وفقًا لمشورتهم مشاركة كل المدن، والأديرة، والجماهير، والممتلكات العامة بنصيب من عبء العمل في بناء التحصينات التي تحيط بمنطقة القديس بطرس، سواء بتقديم العمال أو الأموال اللازمة لبناء المدينة[٢].

تم تنظيم العمل في مدينة ليونين بدقة؛ حيث عهد بإدارة المشروع لمهندس يدعى أجاثو Agatho، قام بتقسيم العمال الذين تم استقدامهم من روما والأراضي الواقعة تحت السيادة البابوية والأديرة، والمحكوم عليهم بالإعدام، بالإضافة إلى الأسرى المسلمين(الذين تم أسرهم عقب هزيمة أوستيا ٨٤٩م/ ٢٣٤هـ)[٣]، إلى مجموعات منظمة (ميليشيا)، ثم تكليف كلًا

(1) Gibson: The Surviving Remains of the Leonine Wall, pp. 31- 32; Lauer: Le poème de la destruction de Rome, p. 351; Hodges (R.): The Rebirth of Towns in the West 700- 1050, London, 1988, p. 38; Duchesne (L.): Les premiers temps de l'etat pontifical (754-1073), Paris, 1898, p. 110.

(2) Duchesne: Le liber pontificalis, p. 123; The Lives of the Ninth-Century Popes, p. 99.; Louis-Marie, A Complete History of the Popes of Rome, p. 224.

(3) Lankila: Saracen Maritime Raids pp. 391- 392; Noyé: La storia dell'alto Medioevo italiano, p. 257; Lauer: Le poème de la destruction de Rome, p. 350; Barelli (L.): La diffusione e il significato dell'opus quadratum a Roma nei secoli VIII e IX, in Saggi in onore di Gaetano Miarelli Mariani, a cura di M. P. Sette, M. Caperna, M. Docci, M. G. Turco, Roma, Bonsignori, 2007, p. 73; Gibson: The Surviving Remains of the Leonine Wall, p. 32. =

منها ببناء قطاع معين من الجدار. وتركت الميليشيا ذكرى عملها مع النقوش التي تم نقشها على جدران ليو؛ حيث يقدم لنا نقشان في القوس الذي يمتد عبر بوابة أنجيلوس Via di Porta Angelica تفاصيل مهمة عن المخطط المعتمد للحصول على عمل سريع وعمالة رخيصة. الأول: وهو عبارة عن نقش يوثق عمل ميليشيا سالتسينا Saltisina، والجزء الموكل إليهم بتنفيذه؛ حيث يذكر: "في عهد سيدنا البابا ليو الرابع، قامت ميليشيا سالتسينا ببناء هذين البرجين والجدار الوسيط بينهما" والآخر: يوثق عمل ميليشيا كابراكورم Capracorum قائلًا: "في زمن سيدنا البابا ليو الرابع قامت ميليشيا كابراكوروم ببناء هذا البرج والجدار الذي يربطه بالبرج التالي"(١).

يتبين لنا وفقًا لما ورد في النقشين العديد من الحقائق المتعلقة بعمل

= يعلق جيبسون على استخدام الأسرى المسلمين في بناء ليونين قائلًا: "ربما كانت هذه العمالة هي أرخص العمالة، وأقلها كفاءة".

Cf: Gibson: The Surviving Remains of the Leonine Wall, p. 32.

(1) Gibson: The Surviving Remains of the Leonine Wall, pp. 32- 33; Lanciani (R.): The ruins and excavations of ancient Rome, Nabu Press, 2010, p. 82; Barelli (L.): Construction Methods in Carolingian Rome [Eighth-Ninth Centuries], Sapienza Università di Roma, 2012, p. 6.

كان بناء الحصون والقلاع عملًا إلزاميًا على كل المدن والأديرة منذ العصور القديمة، ومن ذلك إلزام أهالي روما عام ٤٤٠م بضرورة إصلاح الأسوار الخاصة بها. واستمر ذلك الواجب في العصور الوسطى، والدليل على ذلك المشاجرة التي حدثت بين الكنيسة والمواطنين في فيرونا عام ٧٩٨م حول مقدار المساهمة التي يجب أن يساهم بها كل منهم في عملية ترميم أسوار المدينة. ويبدو أنه نفس المبدأ المستخدم في بناء أسوار ليونين؛ لأنه من الصعب تخيل كيفية عمل هذه المجموعات الغريبة عن بعضها البعض من الأشخاص معًا من خلال أي شيء آخر سوى ذلك. وعلى الرغم من أن تلك العمالة كانت تعمل بالسخرة، فإنها كانت تتطلب بعض الأموال للنفقة عليها وعلى متطلباتها، الأمر الذي يفسر لنا سبب طلب البابا ليو الدعم من الإمبراطور لوثير.

Cf: Gibson: The Surviving Remains of the Leonine Wall, p. 32.

العمال في مدينة ليونين أهمها، أنه تم إسناد بناء جزء معين من تلك الأسوار لكل مجموعة من المجموعات المكلفة بعملية البناء، بالإضافة إلى عدم المساواة بين هذه المجموعات في نصيب البناء؛ ولكن لم تذكر لنا النقوش أو المصادر السبب في ذلك، هل هو عدد كل مجموعة من المجموعات أم المهارة التي تمتلكها؟

وقد تعددت مواد البناء التي اعتمد عليها البابا ليو الرابع في بناء مدينة ليونين وغيرها من المباني التي تتمثل في كتل التوفا tufa[١]، والطوب المعاد استخدامه -الذي كان يتم جلبه من الآثار الرومانية- بجميع الأشكال والأحجام، بالإضافة إلى الرخام والحجر الجيري[٢].

هكذا نجح ليو الرابع في التغلب على الصعوبات التي واجهته في بناء مدينة ليونين؛ الأمر الذي علق عليه كاتب سيرته قائلًا: "نجح البابا ليو، بفضل حماسته وثباته، في التغلب على الصعوبات التي واجهها؛ حيث كان يشرف على العمل بنفسه يوميًا سيرًا على الأقدام طوال فترة العمل"[٣]. وخلال فترة البناء التي استمرت لمدة أربع سنوات (٨٤٨- ٨٥٢م) لم يتوقف البابا ليو الرابع -الذي أشرف على العمل بنفسه- عن زيارة العمال يوميًا دون أن يمنعه البرد أو الرياح أو المطر؛ ولذلك أطلق على المدينة الجديدة اسم

---

(١) التوفا: كانت الكتل البركانية المسماة التوفا هي المادة الوحيدة التي وجدها البناة الرومان الأوائل في متناول اليد. وكانت أفضل محاجر التوفا موجودة على الضفة اليمنى لنهر التيبر، عند سفح التلال التي تسمى الآن مونت فيردي Monte Verde، ويبلغ طولها حوالي ميل وعرضها ربع ميل على الجانب الشرقي من وادي بودزو بنتاليو Pozzo Pantaelo. ويمكن العثور على كتل التوفا في العديد من المعالم الموجودة في روما القديمة.

Cf: Lanciani: The ruins and excavations of ancient Rome, pp. 32- 34.

(2) Lauer: Le poème de la destruction de Rome, p. 352.

(3)The Lives of the Ninth-Century Popes, pp. 140- 141.

مدينة ليونين تخليدًا لذكرى مؤسسها البابا ليو الرابع(١).

ورغم سعي الباحث لعمل إحصاء بعدد العمال الذين استخدموا في أعمال البناء؛ إلا أن المصادر المتاحة لم تسعفنا أو تقدم لنا شيئًا يساعد في عمل هذا الإحصاء.

ومما سبق يمكن القول إن الأغالبة لم يستولوا على كل كنوز الكنائس، ولو أنهم فعلوا ذلك؛ فكيف تمكن البابا من بناء أسوار روما، وتجديد كنيسة القديس بطرس، وتوزيع الأموال والهدايا على الشعب الروماني خلال الاحتفال بتكريس المدينة؟ ألم تذكر الحوليات أنه استخدم أموال الكنيسة في بناء روما وتحصينها؟ فيبدو أن الحماسة الدينية غلبت على المدونين من رجال الدين في وصفهم للأحداث، وربما كان ذلك بهدف تأليب الرومان ضد المسلمين واستثارتهم للوقوف ضد غزواتهم مستقبلًا.

وعلى أية حال عقب الانتهاء من بناء المدينة – التي استغرق العمل فيها حوالي أربع سنوات منذ عام ٨٤٨م/ ٢٣٣هـ حتى عام ٨٥٢م/ ٢٣٧هـ- تم إقامة الاحتفالات الرسمية في ٢٧ يونية ٨٥٢م لتكريسها؛ حيث سار البابا يطوف حول الأسوار يرافقه رجال الدين من كهنة وأساقفة حفاة، ورؤوسهم مغطاة بالرماد في موكب ينشدون فيه حول الجدران. ثم جاء الآباء الكرادلة

(1) Baronio Caesare, Annales Ecclesiastici, Vol. XIV, p. 379; Purton (P.) A History of the Early Medieval Seige 450- 1200, Woodbridge, 2009, pp. 75- 76.

هناك بعض أوجه التشابه بين مدينتي ليونين وجريجوريوبوليس وهي استخدام الحجارة والطوب المعاد استخدامه، وبعض قطع الرخام في كلتا المدينتين، وبناء كلتا المدينتين خارج التكتل القديم بالقرب من قبر (جريجوريوبوليس بالقرب من قبر الشهيد أوريا وليونين بالقرب من قبر القديس بطرس)، تشكلت المدينة بفضل الأسوار التي تحيط بها، وأخيرًا اشتقاق اسم المدينتين من اسم البابا المؤسس لهما.

Cf: Noyé: La storia dell'alto Medioevo italiano, p. 27.

السبعة الذين رشوا هذه الجدران بالماء المقدس، وتوقف الموكب عند كل باب من الأبواب الثلاثة (البوابة الأولى: وتسمى بوابة القديس أنجليوس Porta S. Angeli، والبوابة الثانية: أكبر منها وتقع بالقرب من كنيسة القديس برجينيوس؛ ولذا تسمى بوابة القديس برجينيوس Porta S. Peregrino، والبوابة الثالثة: وهي الرئيسة التي دخل منها الأباطرة وتسمى بوابة الساكسون Porta. Saxonum)، من أجل مباركة المدينة الجديدة التي تم تخصيصها من قبل البابا للسيد المسيح، ووضعت تحت حماية القديس بطرس وبولس"[١].

(1) Regesta Pontificum Romanorum, p. 232; Lauer: Le poème de la destruction de Rome, p. 352; Gregorovius: History of the City of Rome, p. 97.

لقد ورد أن البابا صلى ثلاث صلوات مجهشًا بالبكاء، ومناجيًا الرب أن يحفظ هذه المدينة بمساعدة المسيح، وأن تصمد أمام أعدائها بشفاعة القديسين والملائكة، حيث بدأت الصلاة الأولى أمام باب القديس برجرينوس، وجاء نصها كالتالي: " يا من منحت القديس بطرس مفاتيح مملكة السماوات..... امنحنا التخلص من كل المحاولات المؤذية، وأن تخلو تلك المدينة التي أسستها بمساعدتك من كل المحاولات المؤذية، وأن تحقق بمساعدتك العديد من الانتصارات الكبيرة على هؤلاء الأعداء". ثم تلى البابا الصلاة الثانية بعد الظهر عند قلعة القديس أنجيلو، ونصها كالتالي: "نسألك يا من تَعطَّفَ بحراسة الكنيسة الرومانية المقدسة والحفاظ عليها من الأعداء، اغفر وطهر ذنوبنا، أن تظل هذه المدينة التي كرسناها حديثًا بشفاعة رسلك بطرس وبولس آمنة ولا تهزم من أعدائها، بشفاعة يسوع المسيح". ثم كانت الصلاة الثالثة نصها: "نرجوك أيها الرب القدير الرحيم أن ننال ونحن نصرخ إليك بكل قلوبنا، بشفاعة القديس بطرس الرسول..... أن تظل تلك المدينة التي سميت من اسمي وتدعى ليونين، آمنة ومزدهرة، بشفاعة يسوع المسيح".

Cf: Baronio Caesare, Annales Ecclesiastici, p. 379; The Lives of the Ninth-Century Popes, pp. 142- 143; Duchesne: Le Liber pontificalis, p. 124; Louis-Marie, A Complete History of the Popes of Rome, p. 224; Platina: The Lives of the Popes, 223; Mckitterick (R.): Rome and the Invention of the Papacy, Cambridge, 2020, p. 144.

قام البابا ليو الرابع عقب الانتهاء من الصلاة والاحتفال بتكريس المدينة الجديدة، بتوزيع الأموال على الشعب الروماني والجاليات الأجنبية الموجودة في الاحتفال، ثم توجه عقب ذلك إلى كنيسة القديس بطرس، للصلاة والدعاء بالأمن والسلام الدائمين للمدينة وشعبها، وبعد أن فرغ من الصلاة قام بتوزيع هدايا جديدة من الذهب أو الفضة أو المنسوجات الحريرية على النبلاء الرومان. وعمت الأفراح مدينة روما كلها احتفالا بانتهاء مشروع التحصين، وبالإنجاز الذي حققه البابا ليو الرابع(١).

خامسًا- معركة أوستيا Ostia ٢٣٤هـ/ ٨٤٩م:

ورغم فشل المسلمين في الاستيلاء على روما عام ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م؛ وبعد أن توفي البابا سرجيوس الثاني خلفه على العرش ليو الرابع الذي بذل جهودًا عظيمة من أجل التصدي للمسلمين ومنعهم من السيطرة على المدينة.

وقد رأى الإمبراطور لوثير وابنه لويس الثاني -في غضون ثلاثة شهور من هجوم ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م – ضرورة تحرير جنوب إيطاليا من المسلمين؛ ولذلك وجه الإمبراطور نداءً لمحاربة أعداء المسيح، ومن ثم تم تشكيل جيشًا قويًا يتألف من الإيطاليين، والفرنجة، والبرجنديين، والبروفنساليين بقيادة ابنه لويس الثاني تتلخص مهمته في قطع الطريق على المسلمين من التقدم إلى روما ووسط إيطاليا(٢).

---

(1) The Lives of the Ninth-Century Popes, p. 142; Noyé: La storia dell'alto Medioevo italiano, p. 257; Mann: The Lives of The Popes in The Middle Ages, p. 267.

(2) Regesta Pontificum Romanorum, pp. 230- 231; Barry (W. F.): The Papal Monarchy from St. Gregory the Great to Boniface VIII. (590-1303) (The Story of the Nations), London, 1902, p. 121; Halphen (L.): Charlemagne et l'empire Carolingien, Paris, 1968, pp. 295- 296; Metcalfe (A.): The Muslims of Medieval Italy, Edinburgh, 2009, p. 18.

رغم نجاح الحلفاء المسيحيين في استرداد مدينة بينفينتو من المسلمين وأسر قائدها المسلم وتسليمه إلى الإمبراطور لويس الثاني الذي أمر بإعدامه[١]، إلا أن الإنجاز الرئيس لهذه الحملة كان سياسيًا أكبر منه عسكريًا؛ حيث نجحت في إنهاء الخلاف والصراع القائم بين دوقيتي ساليرنو وبينفينتو. وشهد عام ٨٤٩م/ ٢٣٤هـ توقيع اتفاقية تحالف دفاعي بينهما نصت على: ترسيم الحدود بين سيكونولف Skenolf [٢] الذي امتلك إمارة ساليرنو ومعظم مدن إقليم كالابريا، وأجزاء من إقليم كمبانيا، وراديليتيس Radelichis[٣] الذي حصل على إمارة بينفينتو والمدن التي شغلت معظم إقليم أبوليا، متضمنة الأراضي التي تحت يد المسلمين مثل: باري، وتارنتو، وبرنديزي، وأوترانتو، والتحالف مع بعضهما البعض من أجل إخراج المسلمين من جنوب إيطاليا، وألا يركن أي منهما لجانب المسلمين ضد خصمه مرة أخرى، كما تعهد الطرفان بالحفاظ على السلام بينهما وتشكيل حلف دفاعي ضد كل من يهدد أي منهما، وأخيرًا السماح للساليرنيين بالمرور من أراضي بينفينتو لمواجهة العدو بحرية، شريطة ألا ينهبوا الأراضي التي يمرون بها[٤].

---

(1) Chronica Sancti Benedicti Casinensis, in Scriptores rervm Langobardicarvm et Italicarvm saec. VI - IX, ed. Georg Waitz, **MGH**, Hannoverae, 1878, p. 474; Casaglia: Roma ei Saraceni, p. 5.

فوزية محمد: البحرية الإسلامية في بلاد المغرب في عهد الأغالبة، ص255.

(٢) سيكونولف: شقيق سيكارد أمير بينفينتو، تشاجر مع راديليتيس عقب وفاة شقيقه عام ٨٣٩م؛ مما أدي إلى تقسيم الإمارة بينهما. تولى حكم ساليرنو، وشكل حلفًا شمل دوقيات كابوا وسورينتو وأمالفي وسبوليتو لمواجهة خصمه راديليتيس.

خالد عبد البديع رضوان: الوجود الإسلامي في إيطاليا، ص ٣٤٤- ٣٥٠.

(٣) راديليتيس: تولى مدير الخزانة في عهد سيكارد أمير ساليرنو، وتشاجر مع سيكونولف على إمارة بينفينتو، حصل على ما تبقى من بينفينتو، وشكل تحالفًا مع لمباردي باري، الذين استنجدوا بالمسلمين في صقلية.

خالد عبد البديع رضوان: الوجود الإسلامي في إيطاليا، ص ٣٤٤- ٣٥٠.

(4) Scriptores rervm Langobardicarvm et Italicarvm, p. 433; Metcalfe: The Muslims of Medieval Italy, p. 18; Casaglia: Roma ei Saraceni, p. 5.,

نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ص ٢١١؛ فوزية محمد: البحرية الإسلامية في بلاد المغرب في عهد الأغالبة، ص ٢٥٢.

وبذلك نجحت تلك الاتفاقية التي لاقت قبول الجميع واستحسانهم في تحرير بينفينتو من الساليرنيين، وإنهاء الحرب الأهلية بينهما، واستعادة الهدوء والنظام في الجنوب الإيطالي [١].

أما المسلمون فقد شجعتهم تلك الحملة – التي تعرفوا من خلالها على الموقف الإيطالي الضعيف في الدفاع عن روما، وضعف التحصينات التي تحيط بها– على العودة إليها مرة أخرى بعد ثلاث سنوات عام ٢٣٤هـ/٨٤٩م، بحملة أكثر تنظيما مما سبق، خاصة أنهم كانوا لا يزالون يتذكرون الغنائم العظيمة التي استولوا عليها عام ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م[٢].

وكما هو الحال في الحملة الأولى عام ٢٣٢ه/ ٨٤٦م فقد علمت روما بقدوم المسلمين قبل وصولهم إليها من خلال حاكم سردينيا –لم تذكر لنا المصادر اسمه– الذي أبلغهم بحشد أسطول إسلامي كبير في جزيرة توتاروم Totarum– إحدى الجزر الصغيرة قبالة سواحل سردينيا الشرقية– على شواطئ سردينيا ينتوي الهجوم على روما[٣].

وعلى النقيض مما حدث خلال الحملة الأولى؛ فقد استجاب المسيحيون سواء المدن الإيطالية الجنوبية (أمالفي وجايتا ونابولي) أو البابوية، والرومان هذه المرة للتهديد الجديد بشكل فعال؛ حيث شكلت المدن البحرية

---

(1)Casaglia: Roma ei Saraceni, p. 5; Gay: L'Italie méridionale, p. 62.

خالد عبد البديع رضوان: الوجود الإسلامي في إيطاليا، ص ٣٥٨– ٣٥٩.

(2) The Lives of the Ninth- Century Popes, pp. 131- 132.

فازيليف: العرب والروم، ص ١٨٦؛ عبد المنعم ماجد: العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص ١٠٣.

(3) The Lives of the Ninth-Century Popes, pp. 131- 132; McKilliam: A Chronicle of the Popes, p. 163; Gregorovius: History of the City of Rome in the Middle Ages, p. 92.

فازيليف: العرب والروم، ص ١٨٦.، محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص ٥١٥.

الجنوبية – وهي مدن تجارية مزدهرة، تعترف بالسيادة الاسمية لبيزنطة – أول تحالف بحري في تاريخ العصور الوسطى للتصدي للهجوم الإسلامي، وتحركت تجاه نهر التيبر للدفاع عن روما[١].

أما البابوية فقد كان أبرز نتائج الهجوم الإسلامي على روما عام ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م هو حدوث تحول جذري في السياسة البابوية؛ حيث وصف البابا الجديد ليو الرابع نفسه على أنه رأس حربة ضد الأعداء، الذين كان من المتوقع عودتهم مرة أخرى[٢]؛ حيث كتب إلى الفرنجة قائلًا: "إن الفرنجة الذين يموتون وهم يقاتلون الوثنيين بإخلاص سوف لا يحرموا ملكوت السماوات والأرض، والله القادر يعرف متى تموت الرجال دفاعًا عن العقيدة الحق ودفاعًا عن المسيحيين من أجل أمن بلادهم، وسيحصلون على المكافأة المتوقعة لعملهم"[٣]. كما أسرع بطلب المساعدة من حلف كمبانيا، وأخذ يحث سكانه على التحالف وحشد قواتهم والدفاع عن سواحلهم وحماية ميناء أوستيا[٤].

---

(1)The Lives of the Ninth-Century Popes, p. 132, Duchesne: Le liber pontificalis, p. 117; Gregorovius: History of the City of Rome in the Middle Ages, pp. 92- 93; Mann: The Lives of The Popes in The Middle Ages, p.267; Berto (L.A.): Christians and Muslims in Early Medieval Italy Perceptions, Encounters, and Clashes, New York, 2020, p. 114.

(2) Pohl: Visions of Community in the Post-Roman World The West, p. 407.

(٣) عادل عبد الحافظ حمزه: البابوية والهجمات الإسلامية على إيطاليا، ص ١٢٨.

من الملاحظ استخدام مصطلح الوثنيين من قبل البابا هنا، ولعل ذلك يرجع إلى تعرض العديد من المناطق الأوروبية للهجوم من قبل الفايكنج، ولذلك استخدم مصطلح "الوثنيين" للإشارة إلى جميع الأعداء.

Cf: Berto: Christians and Muslims in Early Medieval Italy Perceptions, p. 39.

(4) Lankila: Saracen Maritime Raids, p.108; Annals of the Empire, from the reign of Charlemagne, pp. 72- 73.

أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ص ٢١٦، تغريد طه أنور أبو العلا: صراع القوى في شبه الجزيرة الإيطالية، ص ٣١٩.

بعث الخوف من الهجوم الإسلامي المرتقب الرعب في قلوب الجميع في إيطاليا، وساهم في انهاء الخلاف بين البابوية ومدن الجنوب؛ حيث استجاب حلف كمبانيا لدعوة البابا ليو الرابع للتحالف معه لمواجهة المسلمين. ووصل أسطولهم إلى ميناء أوستيا بشكل مفاجئ- الأمر الذي أصاب البابا ليو الرابع والرومان بالقلق، وكان الشغل الشاغل للبابا في ذلك الوقت هو الرغبة في معرفة الهدف من وصولهم إلى نهر التيبر، هل التحالف مع البابا أم الاستفادة من وضعهم وقمعهم؟[١]؛ ولذلك دعا البابا قادة التحالف وعلى رأسهم سيزاريوس قائد الأسطول إلى قصر اللاتيران لمناقشة ذلك الأمر؛ حيث نجحوا في إقناع البابا بأنهم لم يأتوا إلا من أجل التحالف معه والدفاع عن المدينة ضد المسلمين[٢].

وبناءً على ذلك عُقد تحالف بحري بينهم وبين البابا ليو الرابع لمواجهة نمو الهيمنة الإسلامية على البحر التيراني، وصف من قبل أحد المؤرخين: " بأنه أحد الحلقات الأولى للسياسة البابوية في قطعة الشطرنج المعقدة جنوب إيطاليا، والتي يسعى البابا من خلالها إلى لعب دور رئيس فيها[٣].

اتجه البابا ليو الرابع بعد أن اطمأن بشأن الحلفاء ونواياهم بجيش كبير من القوات الرومانية إلى أوستيا؛ حيث استعرض الإيطاليون – الذين سجدوا عند قدميه وقبلوها بمجرد رؤيته، وشكروا الله على منحهم هذا البابا

---

(1) The Lives of the Ninth- Century Popes, p. 132; Duchesne: Le liber pontificalis, p. 118; Mann: The Lives of the Popes in the Middle Ages, p.267.

(2) Regesta Pontificum Romanorum, p. 231; The Lives of the Ninth-Century Popes, p. 132; Mann: The Lives of the Popes in the Middle Ages, p.267; Gregorovius: History of the City of Rome in the Middle Ages, p. 93.
ميكيلي آماري: تاريخ مسلمي صقلية، ص ٤٢٧؛ فازيليف: العرب والروم، ص ٨٦.

(3) Casaglia: Roma ei Saraceni, p. 11.

لتقويتهم- من أجل أن يذكرهم بالإخوة المسيحية، ومعجزات الرسل، والرجاء المشترك في الله[١].

ذهب البابا ليو الرابع عقب الانتهاء من استعراض جنود التحالف وحثهم على القتال ضد المسلمين، للصلاة في كنيسة القديس أوريا St. Aurea[٢]؛ حيث ترأس قداسًا دينيًا لمناشدة الله لمساعدة جنود التحالف لصد المسلمين [٣].

عاد البابا إلى روما عقب انتهاء الصلاة التي أقامها، في حين تجمع الجيش المسيحي في أوستيا[٤]؛ وسرعان ما ظهر المسلمون، ووقعت معركة أوستيا الشهيرة عام (٨٤٩م/ ٢٣٤هـ) بين الطرفين؛ تلك المعركة التي سارت في صالح المسلمين في بداية الأمر، لكن الظروف الجوية كانت خصمًا عنيدًا لهم؛ حيث هبت رياحٌ وعواصف عاتية ضربت سفنهم وحطمت العديد منها؛ مما تسبب في أسر العديد من الجنود المسلمين، وحملت الأمواج ما تبقى من الغنائم إلى الشاطئ حيث نهبها السكان المحليون، واضطر المسلمون للانسحاب[٥].

---

(١) ميكيلي آماري: تاريخ مسلمي صقلية، ص ٤٢٧.

(٢) كنيسة القديس أوريا: هي مقبرة قديمة في أوستيا، أصبحت كاتدرائية من خلال التحصينات التي قام بها البابا جريجوري الرابع في القرن التاسع الميلادي. ويعود تاريخ إنشاء المبني الحالي إلى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي.
Cf: The Lives of the Ninth- Century Popes, p. 133.

(3) The Lives of the Ninth-Century Popes, p. 133; Duchesne: Le liber pontificalis, p. 118; Platina: The Lives of the Popes, p. 222.

(٤) فازيليف: العرب والروم، ص ١٨٦.

(5) The Lives of the Ninth-Century Popes, pp. 133- 134; Duchesne: Le liber pontificalis, p. 118; Platina: The Lives of the Popes, p. 222; Louis-Marie, A Complete History of the Popes of Rome, p. 244; Muratori: Rerum italicarum scriptores, p. 293.
إيمان عبد التواب خلاوي: موقف البابا حنا الثامن من تهديدات مسلمي جنوب إيطاليا لروما، ص ١٧٠.

وفي أثناء تقهقر المسلمين الناجين من المعركة، ظهر لهم عدد كبير من الجنود والأهالي الذين كانوا مختفين وراء الصخور، واشتبكوا معهم في معركة غير متكافئة، يتناحر فيها جيش منهك القوى مع جيش كامن ينتظر الفرصة، ووقعت مذبحة كبرى راح فيها الكثير من جنود المسلمين، أما من بقي منهم، فشنق على الأشجار، ومنهم من أصبح أسيرًا، وأجبر على المساعدة في بناء أسوار روما(١). وحقق البابا بذلك مجدًا لم يستطع أن يحققه من الباباوات سوى القليل.

وابتهاجًا بهذا النصر الذي حققه جنود التحالف على المسلمين، أقام البابا ليو الرابع الاحتفالات في مدينة روما، حيث زين كنائس روما بدروع المسلمين، وعلقت أسلحتهم على المذبح، ويوجد تصوير لهذه الموقعة، ونجاة روما من هجوم المسلمين بريشة الفنان الإيطالي الشهير روفايّلو Raphaelo في كنيسة الفاتيكان(٢).

وفي الحقيقة تعددت العوامل التي أدت إلى هزيمة المسلمين في معركة أوستيا، لعل أهمها: افتقاد الصفوف الإسلامية الأولى في الحملة للتنظيم الحربي، وعدم وجود قيادة موحدة لهم وقرار واحد يحكمهم، كما لم تكن لديهم خطة محكمة ومحددة، للالتزام بها، فتضافرت كل تلك العوامل لتنتهي تلك الخطوة الجريئة، دون تحقيق أية نتائج أو أهداف(٣). بالإضافة إلى العاصفة

(1) Mann: The Lives of The Popes in The Middle Ages, p.268; Bertolotti: Gli Arabi in Italia, p. 63; Lankila: The Saracen Raid of Rome in 846, p. 114.
تغريد طه أنور أبو العلا: صراع القوى في شبه الجزيرة الإيطالية وآثاره السياسية، ص٣١٦.

(2) Gregorovius: History of the City of Rome in the Middle Ages, p. 9٤.
عبد المنعم ماجد: العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص ١٠٣-١٠٤؛ فيليب حتى: العرب تاريخ موجز، دار العلم للملايين، ط ٦، بيروت ١٩٩١م، ص ٢١٤.

(٣) تغريد طه أنور أبو العلا: صراع القوى في شبه الجزيرة الإيطالية وآثاره السياسية، ص ٣١٧.

البحرية التي كان لها دور كبير في قلب موازين المعركة وتحويلها من المسلمين لصالح جنود التحالف.

وبالنظر إلى معركة أوستيا عام ٨٤٩م/ ٢٣٤هـ يمكن استخلاص مجموعة من النتائج التي ترتبت عليها، لعل أبرزها: نجاح سياسة البابا ليو الرابع بالتحالف مع حلف كمبانيا في حماية روما من المسلمين وعدم وصولهم إليها مرة أخرى، وتحرير الرومان من أهوال المسلمين المباشرة من خلال تحطيم أسطولهم في أوستيا(١)، لقد كان لجهود البابا ليو الرابع في معركة أوستيا دورًا مهمًا في رفع مكانة البابوية، شكلت مساهمة فعالة خلال النصف الأخير من القرن التاسع الميلادي في منع استيلاء المسلمين على جنوب إيطاليا ووسطها(٢). وأخيرًا دفعت تلك الهجمات الإمبراطور الفرنجي الحامي الطبيعي لمقر البابوية، للعمل على الاهتمام بصورة جدية بشئون إيطاليا(٣).

ويمكن القول إن الغارتين الإسلاميتين اللتين وقعتا عامي (٢٣٢هـ/ ٨٤٦م، ٢٣٤هـ/ ٨٤٩م) رغم فشلهما في إيجاد موطئ قدم للمسلمين في روما؛ إلا أنهما شكلتا الأساس الذي بنيت عليه حالة الترصد والخوف البابوي من كل ما هو إسلامي؛ لأنها تعد أول حالة صدام عسكري مباشر بين البابوية في روما والمسلمين بشكل عام، وهو الخوف الذي تنامى حتى وصل للكراهية المطلقة

(1) Lankila: Saracen Maritime Raids in the Early Medieval Central Mediterranean, p. 245; Kleinhenz: Medieval Italy: An Encyclopedia, p. 378; Lankila: The Saracen Raid of Rome in 846, p. 116; Milman: History of Latin Christianity, p. 19.

(2) The New Catholic Encyclopedia, Vol. 8, p. 842.

ذُكر المسلمون مرة أخرى في رسالة من البابا ليو الرابع، يرجع تاريخها إلى عام ٨٥٢م، لكن هذه المرة تتحدث عن الشائعات فقط والتدابير الوقائية.

Cf: Duchesne: The Beginnings of the Temporal Sovereignty of the Popes, p. 146; Duchesne: Les premiers temps de l'etat pontifical, p. 112.

(٣) محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص ٥١٥.

لكل ما هو مسلم، وهو ما تجسد في أفكار البابوية العدائية فيما بعد ممثلًا في الحروب الصليبية؛ لأن البابوية أدركت أن المسلمين جاءوا ليبقوا، ولن يتوانوا عن تكرار المحاولات حتى تتحقق أهدافهم(١).

سادسًا- تحصين مدينة بورتوس Portus :

استمرارًا لسياسة التحصينات التي تبناها البابا ليو الرابع منذ توليه العرش البابوي من أجل منع المسلمين والتصدي لهجماتهم ومنعهم من الوصول إلى روما، قرر البدء في إعادة تحصين مدينة بورتوس –وفقًا لما ذكره المؤرخ بلاتينا Platina- عام ٨٤٧م/ ٢٣٢هـ(٢).

ومن الأسباب التي ذكرها كاتب سيرة ليو الرابع لإعادة تحصين مدينة بورتوس الاهتمام بالمدينة والرغبة في أن تظل آمنة من المسلمين، والرأفة بالكورسيكيين الذين ظلوا بلا مأوى، بعد أن تم تدمير مدينتهم من قبل المسلمين، وأخيرًا وعد البابا ليو الرابع للكورسيكيين بتوفير موطن آمن لهم في أراضيه(٣).

---

(١) إيمان عبد التواب خلاوي: موقف البابا حنا الثامن من تهديدات مسلمي جنوب إيطاليا لروما، ص ١٧٠- ١٧١.

(2) Platina: The Lives of the Popes, p. 223; Mann: The Lives of the Popes in the Middle Ages, p.269.

(3) The Lives of the Ninth-Century Popes, pp. 145- 147; Louis-Marie, A Complete History of the Popes of Rome, p. 224; Mann: The Lives of The Popes in The Middle Ages, p.269- 270.

لقد عانت جزيرة كورسيكا من الهجمات البحرية الإسلامية المنظمة والمتعاقبة وذلك في المدة بين ٨٠٦م إلى ٨١٣م. ومما يذكر أن حملة سنة ١٩٧هـ/٨١٣م كانت آخر الحملات الإسلامية التي عاصرها الإمبراطور الكارولنجي شارلمان، إذ توفى في العام التالي، وسار خليفته لويس التقي على سياسة آبائه العدائية نحو الأندلس، وبسط حمايته على الجزر القريبة مثل كورسيكا وسردينيا والبليار.

للمزيد: انظر: فايز نجيب إسكندر: شارلمان والفتوحات الإسلامية في كورسيكا في ضوء "حوليات ملوك الفرنجة"، المكتبة العلمية، المنصورة، ١٩٩٩م، ص ٢٠، ٢٨.

بدأت أعمال التحصين في مدينة بورتوس عام ٨٤٧م/ ٢٣٢هـ في السنة الأولى من بابوية ليو الرابع، وتم الانتهاء منها في العام السادس أي عام ٨٥٢م/ ٢٣٧هـ[١]، حيث تم ترميم الأسوار وعمل بوابات جديدة، وإنشاء العديد من المباني اللازمة، ومنح كل فرد من الكورسيكيين قطعة أرض لتلبية احتياجاته هو وأسرته، وبالفعل انتقل الكورسيكيون إلى بورتوس بأبنائهم وزوجاتهم حيث أقاموا هناك، باعتبارهم ملاك أحرارًا وتابعين للكنيسة والقديس بطرس في عام ٨٥٢م[٢].

وبناءً على ذلك، تم منح الكورسيكيين -الذين عرضوا على البابا خدمته هو وخلفائه والحفاظ على الولاء لهم مقابل الحماية البابوية- الأراضي، ومزارع العنب، والمروج، والماشية، والخيول، وكل ما يحتاجون إليه لتلبية احتياجاتهم، بعد أن أقسموا يمين الولاء والإخلاص له ولخلفائه من الباباوات، واستعدادهم الاستقرار في بورتوس وعدم التخلي عنها. وتم وضع ميثاق رسمي- بموجب الامتياز المقدم لهم من قبل الأباطرة لوثير الأول ولويس الثاني والبابا- نص على أن ينتفعوا بالممتلكات التي منحت لهم "طالما حافظوا على طاعة البابا والشعب الروماني مخلصين لهم في كل شيء"[٣].

وببناء مدينة بورتوس يكون البابا ليو الرابع قد شرع في تنفيذ القسم الثاني من سياسته الدفاعية المتمثلة في بناء المدن القريبة من روما وتحصينها من أجل استخدامها كمعاقل وحصون متقدمة لمواجهة المسلمين ومنعهم من الوصول إلى روما. هكذا شكل البابا ليو من الكورسيكيين حامية دفاعية متقدمة،

(1) Platina: The Lives of the Popes, p. 223.

(2) Gregorovius: History of the City of Rome in the Middle Ages, p. 101.

(3) Baronio Caesare, Annales Ecclesiastici, Vol. XIV, p. 380; Regesta Pontificum Romanorum, p. 232; The Lives of the Ninth-Century Popes, p. 145; Lankila: Saracen Maritime Raids in the Early Medieval Central Mediterranean, p. 310.

من الممكن استخدامها في أي وقت للدفاع عن روما ضد هجمات المسلمين؛ حيث تقف حائلًا على شاطئ نهر التيبر بينهم وبين الوصول إلى مدينة روما.

سابعًا- بناء مدينة ليوبوليس Leopolis:

واستكمالًا لأعمال التحصين التي بدأها البابا ليو الرابع عقب توليه العرش البابوي؛ لإصلاح ما دمره المسلمون حول روما [١]، شرع في عام ٨٤٩م/ ٢٣٤هـ في بناء مدينة ليوبوليس لتحل محل مدينة (شينتومسيلي)[٢].

---

(١) تغريد طه أنور أبو العلا: صراع القوى في شبه الجزيرة الإيطالية وآثاره السياسية، ص ٣١٩.

(2) The Lives of the Ninth- Century Popes, p. 153; Lauer: La cité Carolingienne de Cencelle (Lèopoli). In Mélanges d'archéologie et d'histoire, Tome 20, 1900, p. 147.

يعود بناء تلك المدينة إلى عام ١٠٦م في عهد الإمبراطور تراجان عندما قام ببناء ميناء هناك. وظل هذا الميناء بمثابة قاعدة مهمة للأسطول الروماني حتى القرن السادس الميلادي عندما تنازع عليه القوط الشرقيون والبيزنطيون. يعلق المؤرخ كليسه Calisse على تدمير المسلمين لتلك المدينة قائلًا: "وفي الحقيقة حدث خلط بين المؤرخين حول تاريخ تدمير تلك المدينة من قبل المسلمين، يحدد البعض تاريخ تدميرها عام ١٩٧هـ/ ٨١٣م، في حين يحدد البعض الآخر عام ٢١٣هـ/ ٨٢٨م. ويعتمد الفريق الأول على القول بأن سكان المدينة ظلوا مهجرين لمدة أربعين عامًا عندما تم تجديدها من قبل البابا ليو الرابع عام ٨٥٤م. ولكن في الحقيقة كيف تم تدمير تلك المدينة بالكامل في عام ١٩٧هـ/ ٨١٣م، في حين قدم البابا باسكال الأول في الفترة من ٨١٨م إلى ٨٢٤م بعض الهدايا إلى كنيسة القديس بطرس في تلك المدينة؟ إذن لو تم تدمير تلك المدينة بالفعل عام ١٩٧هـ/ ٨١٣م فكيف يكون البابا قادرًا على تقديم مثل هذه الهدايا، إذا كانت الكنيسة التي قدم إليها هداياه قد سقطت مع المدينة قبل توليه العرش البابوي. إذن يبدو أن الحملة التي قام بها المسلمون ضدها عام ١٩٧هـ/ ٨١٣م كانت حملة عابرة لم تدمرها بالكامل، ولأنها كانت مهددة دائمًا من قبل المسلمين، إلا أنها كانت موجودة وتعرضت للغزو مرة ثانية، عندما سقطت عام ٢١٣هـ/ ٨٢٨م".

Cf: Kleinhenz: Medieval Italy, p. 230; Calisse: Storia di Civitavecchia, Firenze, 1898, p. 74.

تعددت الأسباب التي دفعت البابا ليو الرابع لتأسيس مدينة ليوبوليس، ومنها الرغبة في تحصين المراكز الرومانية الرئيسة من أجل بناء مدن جديدة تستخدم حوائط دفاعية عن روما، واستمرار الجهود البابوية للتصدي للمسلمين ومنعهم من الوصول إلى روما، بالإضافة إلى تعاطف البابا مع مواطني مدينة شينتومسيلي، الذين ظلوا مشردين لمدة أربعين عامًا -بعد أن طردهم المسلمون من مدينتهم- وأصبحت الجبال مأوىً لهم(١).

لذلك كان لابد من البحث عن مكان تتوفر فيه عوامل الأمان، والراحة، ووسائل المعيشة اللازمة لهؤلاء السكان؛ ولذلك نزل البابا بنفسه وتجول في الجبال من أجل البحث عن مكان آمن ومناسب لتأسيس مدينة جديدة، ولكن لم يكن من السهل العثور على ذلك المكان بسبب نقص المياه من ناحية، وصعوبة الدفاع عنها بسبب الغابات والمنحدرات من ناحية أخرى. ومن أجل التغلب على تلك الصعوبات؛ توسل البابا بالصلوات والدموع للرب ليرى بنعمه المكان المناسب لسلامة هذا الشعب وأمنه(٢).

وفي الحقيقة تختلط الأسطورة بالواقع في عملية تأسيس مدينة ليوبوليس؛ حيث يذكر لنا كاتب سيرة ليو أن البابا رأى ذات ليلة وهو نائم أنه يتجول برفقة قائد الجنود بطرس، في مكان مناسب، يخطط بيديه المدينة وأسوارها التي تحيط بها وأبوابها، وترسيم الشوارع وأماكن بناء الكنائس. وتنفيذًا لما رآه وهو نائم، استدعى في اليوم التالي قائد الجنود، وأبلغه بما رآه، وبعد أن أمده بالأموال اللازمة لعملية البناء، أرسله إلى اللاجئين؛ فبدأ بطرس

(1)Louis-Marie, A Complete History of the Popes of Rome, p. 224; Calisse: Storia di Civitavecchia, p. 83; Nardi (S): Da Centumcellae a Leopoli. Città e campagna nell'entroterra di Civitavecchia dal II al IX secolo d. C. In: Mélanges de l'École française de Rome. Moyen-Age, tome 105, 1993, pp. 525- 526.

(2) The Lives of the Ninth-Century Popes, p. 153.

في تجميعهم وتحميسهم من أجل الانتهاء من عملية بناء ليوبوليس، وهرع إليه العمال من كل مكان للمساهمة في بناء المدينة الجديدة(١).

وقد كان هناك عدة أسباب دفعت البابا ليو الرابع لتغيير موقع المدينة لعل أبرزها: الرغبة في اختيار موقع يتمتع بالحماية اللازمة أمام هجمات المسلمين؛ ولذلك تم اختيار هذا الموقع بعيدًا عن الشاطئ، خاصة أن العيش على ذلك الشاطئ كان محفوف بالمخاطر؛ ولذلك تم نقل المدينة باتجاه الغرب داخل الجبال على بعد اثنى عشر ميلًا من موقع المدينة القديمة(٢).

تم الانتهاء من بناء المدينة الجديدة وتكريسها رسميًا باحتفال أقيم في ١٥ أغسطس عام ٨٥٤م/ ٢٣٩هـ وفقًا للطقوس المعمول بها في ذلك التوقيت، حضره البابا بنفسه لتكريس المدينة ومباركتها من خلال رش الماء المقدس على الأسوار، ثم قام بتوزيع الأموال على الناس، ودعا الرب للحفاظ على المدينة من الأعداء. وتم منحها كنيستين أحدهما مكرسة للقديس بطرس، والأخرى للقديس ليو. ثم أغدق عليهم العديد من الهدايا التي قدمها لكنائس مدينته الجديدة، ومنها "سبع مخطوطات كاثوليكية"، وكتاب الأناجيل، وسفر المزامير، وما إلى ذلك(٣).

وتخليدًا لذكرى مؤسسها، أطلق على المدينة الجديدة اسم مدينة ليوبوليس. ورغم ذلك لم يلتزم سكانها بهذا الاسم وأطلقوا عليها اسم

(1) The Lives of the Ninth- Century Popes, pp. 153- 155; Lauer: La cité Carolingienne de Cencelle (Lèopoli), pp. 147- 148; Annovazzi (V): Storia di Civitavecchia dalla sua origine fino all anno 1848, Roma, 1853, pp. 207- 208.

(2) Annovazzi: Storia di Civitavecchia, p. 209.

(3) The Lives of the Ninth-Century Popes, p. 155; Lauer: Ibid. Cit., p. 148., Calisse: Storia di Civitavecchia, p. 84; Mann: The Lives of The Popes in The Middle Ages, pp. 271- 272; Pergola: Il fenomeno del reimpiego nelle mura leonine, p. 29.

شينشيلّي Cencelle، وهو اختصارٌ لاسمها القديم شينتومسيلي Centumcelle. ويبدو أن هذا الاسم كان شائعًا في ذلك الوقت حتى لدى البابا نفسه الذي وجه الدعوة لأسقفها لحضور مجمع روما عام ٨٥٣م باسم أسقف شينتومسيلي وليس أسقف ليوبوليس(١).

والجدير بالذكر أن سكان ليوبوليس لم يتخلوا عن اسمها فقط، وإنما واجهوا مجموعة من الصعاب- أهمها: صعوبة عملية التكيف مع طبيعة تلك المدينة التي تعتمد على الزراعة كأسلوب للحياة، لعدم اعتيادهم على العمل الزراعي، وشغفهم بالعمل في الملاحة والتجارة وصيد الأسماك؛ ولعل ذلك يرجع إلى قرب المدينة القديمة من السواحل والجزر المجاورة، وزيادة عدد السكان في القرن التالي بشكل كبير؛ مما جعل المدينة تضيق عليهم؛ ولذلك فعندما زال الخطر الإسلامي الذي كان سببًا في اختيار مكان تأسيس ليوبوليس؛ وكان طبيعيًا أن يعود السكان إلى موقعهم القديم؛ ولذلك بموجب اجتماع عقد فيما بينهم برئاسة أحد قدامى المحاربين دعاهم من خلاله إلى العودة إلى مدينتهم القديمة والتخلي عن ليوبوليس. وبالفعل أطاعه السكان وتخلوا عن مدينة ليوبوليس وعادوا إلى المدينة القديمة المطلة على البحر وأطلقوا عليها اسم شيفيتافيكيا Civitavechia أي المدينة القديمة(٢).

---

(1) Annovazzi: Storia di Civitavecchia, p. 209.

(2) Louis-Marie, A Complete History of the Popes of Rome, p. 225; Annovazzi: Storia di Civitavecchia, p. 208.; Gregorovius: History of the City of Rome in the Middle Ages, pp. 102- 103; Ferreri (T.): Istituzioni e governo del territorio nello Stato pontificio: ricerche sul Patrimonio di San Pietro in Tuscia (secoli VI-XIII), in «Historia et ius», 14 (2018), p. 33.

يعلق المؤرخ كليسه Claisse على التخلي عن ليوبوليس والعودة إلى المدينة القديمة قائلًا: "لقد قبلوه كعلاج لأمراضهم، التي لم يتم علاجها إلا من خلال العودة مرة أخرى إلى شينتومسيلي".

Cf: Calisse: Storia di Civitavecchia, p. 84.

هناك بعض الحقائق التي تم استخلاصها من خلال عملية تأسيس مدينة ليوبوليس لعل أهمها:

- لعب البابا دور المعلم للسكان الذين يعيشون داخل المدينة الجديدة، سواء من خلال علاقته بقائد الجنود أو توزيع الأموال على الشعب عندما سمح لهم بالعيش في ليوبوليس(١).
- يُعد نقل السكان إلى المدينة الجديدة ضرورة لحماية شعبه وإقليمه، من أجل خلق دفاع قوي ضد المغيرين المسلمين(٢).
- يُعد الأمر الصادر من البابا ليو إلى قائد الجنود (وهو رجل عسكري من الأرستقراطية الرومانية) لتأسيس ليوبوليس مظهرًا من مظاهر العلاقة بين صاحب السيادة وأتباعه(٣).
- نجحت مدينة ليوبوليس في الهدف الذي نشأت من أجله؛ وهو منع المغيرين من الوصول إلى روما، والدليل على ذلك عدم تدخلهم في تلك المنطقة لعدة سنوات(٤).

لم تتوقف جهود البابا ليو الرابع عند التصدي للمسلمين على تجديد كل الأماكن التي تم تدميرها قبل توليه المنصب البابوي فحسب؛ بل شملت بعض المدن كان من الممكن الوصول إليها أيضًا، ومن بين هذه المدن التي حصنها البابا ليو الرابع مدينتي هيرتا Herta وأميريا Emeria؛ التي تسبب الإهمال في ضعف تحصيناتها؛ ولذلك وخوفًا من توغل المسلمين في الداخل والوصول

(1) Pergola: Il fenomeno del reimpiego nelle mura Leonine, p. 29.

(2) Lankila: Saracen Maritime Raids in the Early Medieval Central Mediterranean, p. 394.

(3) Noyé: La storia dell'alto Medioevo italiano, p. 267.

(4) Duchesne: Les premiers temps de l'etat pontifical , p. 111; Duchesne: The Beginnings of the Temporal Sovereignty of the Popes, p. 146.

إليهما، كلف البابا سكان المدينتين بإجراء عملية إصلاح شامل لحصونهما، وتزويدهما بالأسوار والأبراج اللازمة للدفاع عنهما[١].

ويستشف مما سبق أن البابا ليو الرابع كان يتمتع بقدرٍ كبير من الذكاء فيما يتعلق بإنشاء الحصون والقلاع في ذلك التوقيت؛ حيث أدرك أنه لا بد من تحصين المدن المجاورة لروما لكي تشكل حوائط دفاعية متقدمة في مواجهة المسلمون قبل الوصول إلى روما؛ لكي تُعيق تقدمهم ووصولهم إليها، أو تلعب على الأقل دورًا في تعطيل تقدمهم إلى روما، حتى يتم تجميع الجيوش والاستعداد للمعركة المرتقبة.

لم تقتصر أعمال التحصين التي قام بها البابا ليو الرابع طوال فترة حكمه التي امتدت إلى ثمان سنوات على بناء المدن وتحصين روما فحسب، بل شملت أيضًا بناء العديد من الكنائس والأديرة التي أصابها الخراب والدمار، ومن أبرز الكنائس التي تم تجديدها كنيسة القديس بطرس في روما- حيث تم تجديدها بالكامل سواء المباني أو البوابات أو المذبح، ومنحها العديد من الهدايا القيمة بدلًا من التي استولى عليها المسلمون، وقصر اللاتيران، وتلبية لرغبة البابا التي كانت تتمثل في إعادة بناء جميع أماكن القديسين التي تم تدميرها، وتجديد بعض الإضافات التي أدخلها عليها البابا ليو الثالث، كما أعاد بناء الحي السكسوني، الذي تضرر بسبب الحريق الذي نشب فيه في بداية حبرية ليو الرابع، وأعاد بناء وترميم العديد من الأديرة سواء داخل روما أو خارجها ولعل أبرزها دير القديس سيزاريوس[٢].

---

(1) Mann: The Lives of the Popes in the Middle Ages, p. 270.

(2) The Lives of the Ninth-Century Popes, pp. 115- 116; McKilliam: A Chronicle of the Popes, p. 163; Mann: The Lives of the Popes in the Middle Ages, pp. 272- 275; Maskarinec (M.): Building Rome Saint by Saint: Sanctity from abroad at Home in the City (6th-9th century). Ph. D, University of California, 2015, p. 109.

توفى البابا ليو الرابع في يوم ١٧ يوليو ٨٥٥م (٢٤٠هـ)، بعد أن تولى العرش البابوي لمدة ثماني سنوات وثلاثة أشهر وستة أيام، نجح خلالها في إقامة شبكة دفاعية من التحصينات سواء داخل روما أو خارجها[١].

❊ ❊ ❊

(1) The Lives of the Ninth-Century Popes, p. 159; Platina: The Lives of the Popes, p. 224; Muratori: Rerum italicarum scriptores, p. 293; Barelli (L.): Il complesso dei Ss. Quattro Coronati a Roma: lettura del monumento attraverso L'Analisi del palinsesto murario, a Muri parlanti: Prospettive per l'analisi e la conservazione dell'edilizia storica, Atti del convegno Pescarta 26-27 Settembre 2008, p. 2.

دير سيزاريوس: طور دير سيزاريوس علاقته بالبابا ليو الرابع بحلول منتصف القرن التاسع الميلادي، ولذلك سعى البابا إلى تعزيز مكانته في ذلك التوقيت، من خلال تحويل منزله في روما إلى دير مخصص للقديس سيزاريوس، وتقديم العديد من الهدايا لذلك الدير.

Cf: Maskarinec: City of Saints: Rebuilding Rome in the Early Middle Ages, p. 72.

الخاتمة:

تعددت محاور سياسة البابا ليو الرابع لمواجهة المسلمين، ولم تقتصر على الجوانب العسكرية فحسب؛ إذ شملت أيضًا سياسة التحالفات السياسية، والعسكرية، وتحصين المدن، والأقاليم المجاورة لروما لمنع المسلمين من الوصول إليها مرة أخرى؛ ولذلك تمثل بابوية ليو الرابع ذروة التحصينات الدفاعية في روما؛ حيث تم إنشاء أكبر قدر من التحصينات متفوقًا على من سبقوه، كما تبعه فترة من الإهمال غير العادي.

انقسمت سياسة التحصينات الدفاعية التي تبناها البابا ليو الرابع عقب توليه العرش البابوي إلى ثلاث مراحل مختلفة:

المرحلة الأولى: والتي كان الهدف منها منع المسلمين من دخول مدينة روما من خلال تحصين المدينة نفسها بإعادة بناء الأسوار التي تحيط بها.

المرحلة الثانية: والتي اهتمت بتحصين منطقة الفاتيكان والمنطقة المقدسة بها لكيلا تتعرض لما تعرضت له خلال الهجوم الإسلامي عام ٨٤٦م/ ٢٣٢هـ، وذلك من خلال بناء مدينة ليونين.

المرحلة الثالثة: وكانت تهدف إلى قطع الطريق على المسلمين ومنعهم من الوصول إلى روما أو المنطقة المقدسة من خلال إنشاء مجموعة من الحصون والمدن على شاطئ نهر التيبر، مثل تحصين مدينة بورتوس، وإنشاء مدينة ليوبوليس.

ومن الجدير بالذكر أن تلك الإنشاءات في مراحلها الثلاث كانوا يسيرون جنبًا إلى جنب، وفي أسرع وقت ممكن خوفًا من وصول المسلمين في أي وقت للهجوم على روما.

ساهمت سياسة البابا ليو الرابع في إنشاء حلف مسيحي ضد الهجوم

الإسلامي عام ٨٤٩م ونجاح ذلك الحلف في الانتصار على المسلمين في معركة أوستيا عام ٨٤٩م، وقد أدى ذلك إلى تبني المسيحيين بصفة عامة والبابوية بصفة خاصة في القرون اللاحقة نفس السياسة ضد الوجود الإسلامي في جنوب إيطاليا وبلاد الأندلس، كما أنها تُعد النواة الأولى التي خرجت منها الدعوة للحملات الصليبية ضد الشرق الإسلامي بعد ذلك، باعتبارها أول دعوة للتحالف المسيحي ضد المسلمين.

ملحق (١) صورة لبرج ليو الرابع في حديقة الفاتيكان[١].

(1) Lanciani: The ruins and excavations of ancient Rome, p. 83.

ملحق (٢) صورة لجدار ليونين التي شارك المسلمون في بنائها[١].

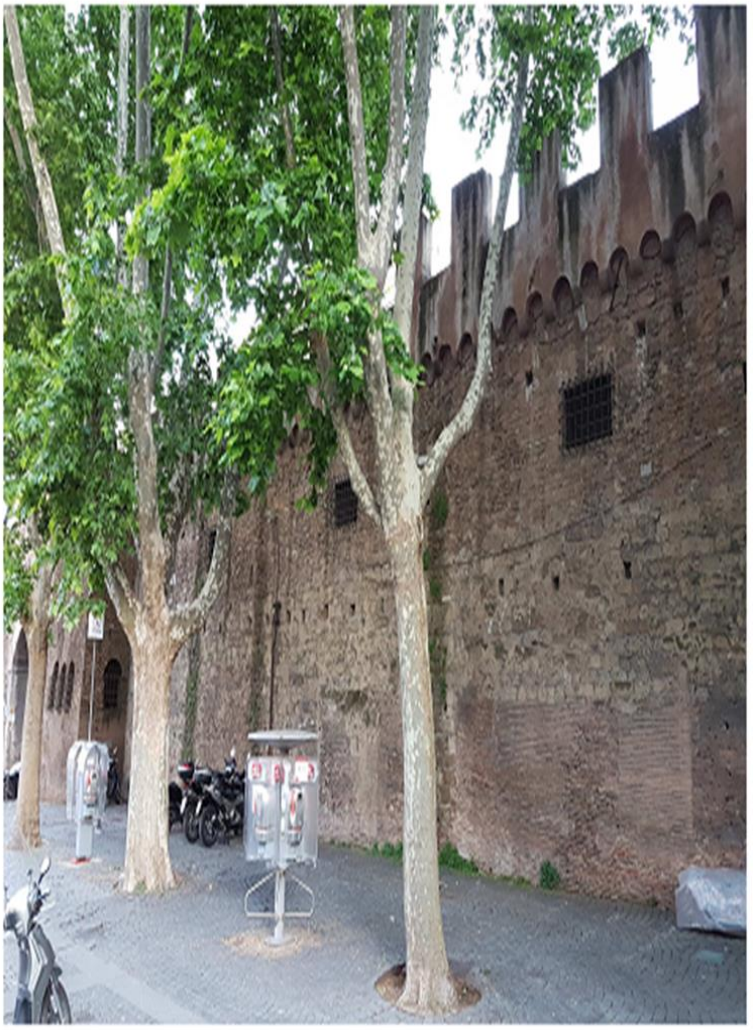

(1) Lankila: Saracen Maritime Raids in the Early Medieval Central Mediterranean, p. 392.

ملحق (٣) مخطط لمدينة ليونين (منطقة الفاتيكان)[١]

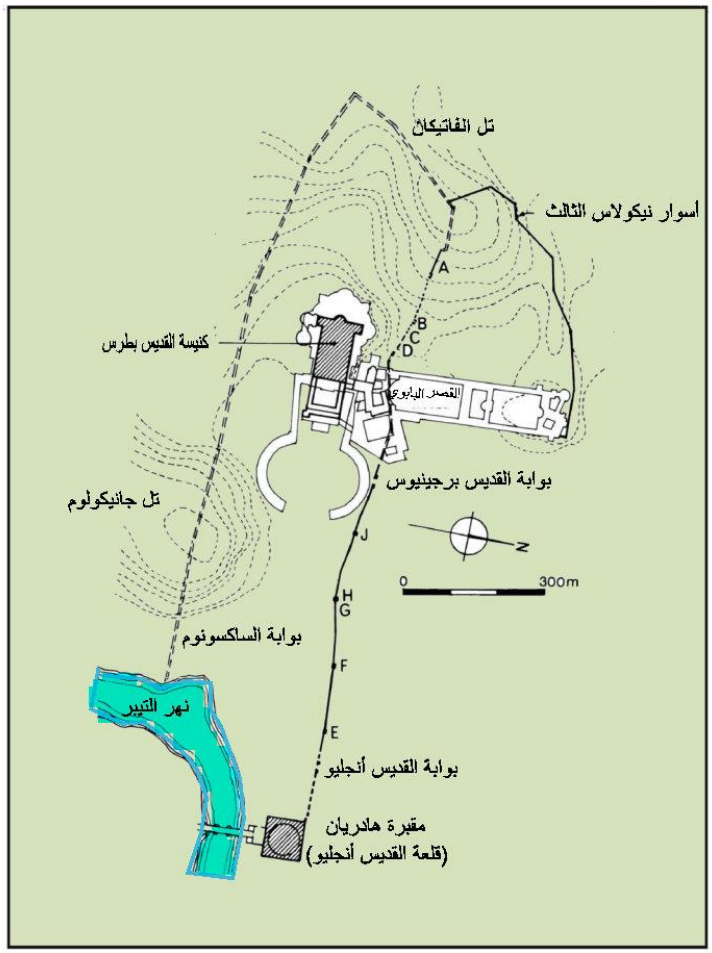

(1) Gibson: The Surviving Remains of the Leonine Wall, pp. 34.

ملحق (٤)[١]

خريطة توضح سير حملة ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م، وأهم المدن التي أنشأها وحصنها البابا ليو الرابع.

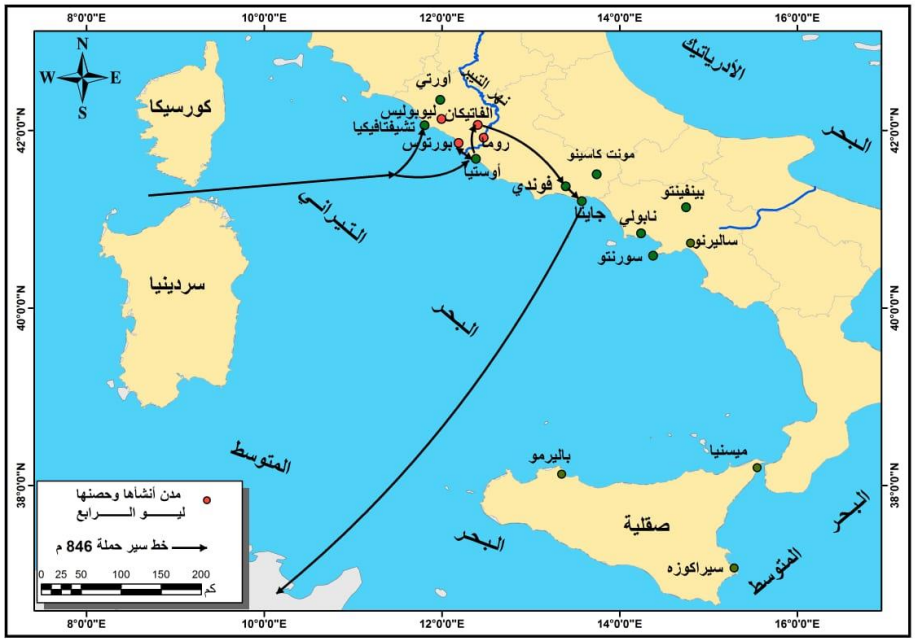

(١) إبراهيم على طرخان: المسلمون في أوربا، ص ١٧٧، مع إضافات قام بها الباحث.